

# رسائل من القرآن

أدهم شرقاوي

“قرن بين ما علقه”

# رسائل من القرآن

أدهم شرقاوي

"حسن بن ساعدة"

2021

**kalemat**

## الإهداء

تَعَزُّمٌ عَلَى الذَّنْبِ فَتَمُرُّ بِكَ جَنَازَةٌ فَتَرْتَدِعُ  
تُفَرِّدُكَ قُوَّتُكَ بِظُلْمٍ ضَعِيفٍ فَتَمْرُضُ فَتَعْتَبِرُ  
تُفَرِّطُ الْثِقَّةَ بِالنَّاسِ فَيَأْتِيكَ الْخِذْلَانُ فَتَتَعَطَّلُ  
تُذَنِّبُ فَيَضِيقُ صَدْرُكَ فَتَسْمَعُ آيَةً فَتَتَشَرَّحُ  
تَحْتَازُ فِي أَمْرِ فَتَسْمَعُ حَدِيثًا نَبَوِيًّا فَتَهْتَدِي  
كُلُّ هَذِهِ رِسَائِلُ مِنَ اللَّهِ

هَذَا كِتَابٌ بِعَنْوَانِ "رِسَائِلُ مِنَ الْقُرْآنِ"  
مُهْدَى إِلَى كُلِّ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ أَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ  
دَوْمًا يُرْسِلُ إِلَيْنَا الرِّسَائِلَ لِيُعِيدَنَا إِلَيْهِ

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ﴾

يا الله،

إني لا أصلي لك كما يليق بك،

ولا أصوم كما كان يفعل داود،

ولا أصبر إذا مرضتُ كما صبر أيوب،

ولا أستبح بحمدك تسبيح يونس في بطن الحوت،

ولا آخذ ديني بقوة كيحيى،

ولا أغض بصرى كما غض يوسف كل جوارحه،

ولست متسامحا لحد القول: اذهبوا فأنتم الطلقاء،

ولكني مثلهم يا الله أحبك!



﴿وَرُسُلًا لَّمْ تَقْضُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾

إنَّ جَهْلَ النَّاسِ فَضْلَكَ هَلَّا تَبْتَئِسَ،  
يَكْفِي أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَنْ أَنْتَ؛  
لَنْ يَزِيدَ شَيْئًا فِي مِيزَانِ نُوْحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْتَا عَرَفْتَهُمْ،  
وَلَنْ يَنْقُصَ شَيْءٌ فِي مِيزَانِ أَنْبِيَاءٍ لَمْ يَخْبِرْنَا اللَّهَ عَنْهُمْ  
لَأَنْتَا جَهَلْتَهُمْ،  
كَانَ فِي جَيْشِ هَارُونَ الرَّشِيدِ عَشْرُونَ أَلْفَ مُجَاهِدٍ،  
لَا يَكْتُبُونَ أَسْمَاءَهُمْ فِي دِيْوَانِ الْجُنْدِ،  
هَلَّا يَأْخُذُونَ رِوَاثَهُمْ كَيْ لَا يَعْرِفَهُمْ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهَ؛  
نَعَى السَّائِبُ بْنُ الْأَقْرَعِ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ شَهَدَاءَ  
الْمُسْلِمِينَ فِي نَهَاوَنْدِ،  
فَعَدَّ أَسْمَاءَ مَنْ أَعْيَانِ النَّاسِ وَأَشْرَافَهُمْ ثُمَّ قَالَ:  
وَأَخْرَوْنَ مِنْ أَهْقَاءِ النَّاسِ لَا يَعْرِفُهُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ،  
فَبَكَى عُمَرُ وَقَالَ: وَمَا ضَرُّهُمْ أَنْ لَا يَعْرِفَهُمْ  
عُمَرُ، إِنْ اللَّهَ يَعْرِفُهُمْ!

## ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾

كلما أذنبت ذنباً قل في نفسك:  
خسرت معركة، ولم أخسر الحرب!  
لا تبتئس، ورغم نفسك بوضوء وركعتين،  
استغفر على الأصابع التي أذنبت،  
واقرا القرآن بنفس العين التي نظرت إلى حرام،  
أنين التائبين عند الله كمناجاة الطائمين،  
وما سمى نفسه الفخور إلا لأنه يريدك  
أن ترجع!

## ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾

لَنْ يَنْقَعَكَ مَدْحُ الْمَادِحِينَ،  
 إِنْ كَانُوا قَدْ مَدَحُوكَ بِمَا لَيْسَ فَيْكَ؛  
 وَلَنْ يَضُرَّكَ قَدْحُ الْقَادِحِينَ،  
 إِنْ كَانُوا قَدْ ذَمُّوكَ بِمَا لَيْسَ فَيْكَ؛  
 وَمَهْمَا بَلَغَ الْإِنْسَانُ مِنَ الصَّلَاحِ فَلَا يَدُّ لَهُ مِنْ كَارِهِ،  
 حَتَّى الْأَنْبِيَاءُ لَمْ يَجِبْهُمْ كُلُّ النَّاسِ؛  
 وَمَهْمَا بَلَغَ الْإِنْسَانُ مِنَ الْقُجُورِ فَلَا يَدُّ لَهُ مِنْ مُحِبٍّ،  
 حَتَّى فِرْعَوْنُ وَالنَّمْرُودُ كَانَ لِدَيْهِمْ مَنْ يُحِبُّونَهُمْ؛  
 قَالَ مَطْرَفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: قَالَ لِي الْإِمَامُ مَالِكٌ:  
 مَا يَقُولُ النَّاسُ فِي؟  
 فَقُلْتُ: أَمَّا الصَّدِيقُ فَيُشْتَرَى عَلَيْكَ، وَأَمَّا الْعَدُوُّ فَيُتَّقَى عَلَيْكَ؛  
 فَقَالَ: مَا زَالَ النَّاسُ كَذَلِكَ، وَلَكِنْ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ  
 اتِّفَاقِ الْأَلْسِنَةِ كُلِّهَا؛  
 لَقَدْ اسْتَعَاذَ أَنْ يَمْدَحَهُ النَّاسُ كُلُّهُمْ فَيَفْتَرَّ،  
 أَوْ يَذُمَّهُ النَّاسُ كُلُّهُمْ فَيَكُونَ فِيهِ شَيْءٌ مِمَّا قَالُوا؛

”

الموتُ  
ليس نهاية  
الحياة  
إنه بدايتها  
فقط !

“



﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾

إِنَّهُ اللَّهُ

من الذي جاءه خائفاً فما أمنه؟  
ومن الذي جاءه متكسراً فما رفق به؟  
ومن الذي جاءه مستجداً فما نصره؟  
ومن الذي جاءه حزيناً فما أسعدّه؟  
ومن الذي جاءه حيران فما دلّه؟  
تخيّر أوقات الإجابة، وأنجّ مطاياك ببياه،  
أقبل عليه في الثلث الأخير من الليل،  
فسهام الدعاء بعد القيام لا تخيب،  
وثق ببرك فإن الأيدي الفارغة المعتدة إليه،  
يستحيل أن ترجع إلا ملأى،  
وقبل كل هذا، ليكن طعامك كله حلالاً،  
وهي الحديث: أَطْبَ مطعمك تكن مجاب الدعوة

﴿عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا﴾

أطفئ بهذه الآية نار حسرتك على كل فرصة ضاعت، وعلى كل وظيفة خسرتها، وعلى كل حبيب أظن يدرك في منتصف الطريق، وعلى كل صديق حسبت أن له وجهاً جميلاً، فلم يكن هذا إلا قناعاً الذئب جارحاً ما أخذه الله منك فلحكمة، وما تركه لك فلرحمة، فإن علمت الحكمة، فاشكراً وإن جهلتها، فاصبر! أقدر الله كلها خير وإن أوجعتك!

﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَنَاصِحٌ جَلِيلٌ﴾

لم يَدْرِ فِي خَلْدِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَحَوَاءَ  
أَنْ شَخْصًا يَمَكُنُ أَنْ يَقْسَمَ بِاللَّهِ كَاذِبًا،  
وَلَكِنْ إِبْلِيسُ قَدْ فَعَلَهَا!  
أَمَّا نَصَحُهُ، فَإِنَّهُ سَمَّى الْأَشْيَاءَ بِغَيْرِ مَسْمِيَّاتِهَا لِلْإِغْرَاءِ،  
فَمَا كَانَ اسْمُهَا إِلَّا شَجَرَةُ الْمَعْصِيَةِ،  
فَسَمَّاها لَهَا شَجَرَةُ الْخُلْدِ!  
وَعَلَى خُطَى إِبْلِيسَ يَسِيرُ الْأَبَالِسَةُ الْيَوْمَ!  
الْخَمْرُ مَشْرُوبُ رُوحِي،  
وَالْعُرْيُ مَوْضِعُ جَنَّةِ،  
وَالْفَحْشُ حَضَارَةُ،  
وَالزُّنَا انْقِطَاعُ!  
فَلَا تَخْلَعْكَ الْأَسْمَاءُ مَهْمَا تَغْيَرَتْ!

﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ  
وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾

سارعوا، لأن الموت لا ينتظر!  
غداً أتوب، غداً أصنع برنامجاً للقراءة، وغداً أتبع حمية  
غذاثية..

يأتي الغد، ولا نتفقد شيئاً مما بؤيناها!  
ما من طول الأمل، فكلنا نعتقد أن الموت بعيد!  
بالمناسبة، هذا ما كان يعتمدون الذين ماتوا منذ دقيقة!  
سارعوا، لأن تأخر لحظات قد يكفكك عمراً كاملاً،  
والشيء بالشيء يذكر،

يقول الصُّنَّابِيُّ: خرجنا من اليمن مهاجرين يريد  
النبي ﷺ فلما وصلت المدينة قيل لنا:  
مات رسول الله ﷺ منذ خمس ليالٍ.  
تأخر خمس ليالٍ حرّمهم شرف الصُّعْبَةِ،  
سارعوا، فربما تأخر ساعة قد يحرمكم الحنة!

﴿ كُلْ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَتَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً  
وَالَّذِينَ تَرْجِعُونَ ﴾

الموت هو الكأس الذي سيشرب منه الجميع:  
المؤمن والفاجر: النبي والمطاعية، ولجن والملائكة،  
وليس غير الله يبقى!  
والموت ليس نهاية الحكاية،  
على العكس تماماً، إنه بدايتها فقط!  
وكفى بالموتى واعظاً!  
كان لأبي نواس شاعر الخمرة الشهير جارا صالح،  
وكان كثيرا ما يدعو إلى الله وترك الخمرة،  
فلما مات هذا الجار، مشى أبو نواس في جنازته،  
ولما وقف على قبره قال: أنت اليوم أوهظ منك حيا!  
أي أن كل الكلام الذي قلته لي تصحني،  
لا يساوي في الموعظة رأيتي لك في قبرك!

﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ  
إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾

هذه الدنيا دار زراعة لا دار حصاد،  
ودار امتحان لا دار جزاء،  
ومن امتحانات الله سبحانه لعباده أنه يُنزل بهم  
المصائب.

فَقَدْ الْأَحِبَّةَ مَصِيبَةً،

وَفَقْدَ الْمَالِ مَصِيبَةً،

والجوار السوء، والزوج الفاجر، والمدير الظالم كل  
هذه مصائب.

فمن صبر، فقد نجح في لامتحان!

ومن سخط، فقد رسب في الامتحان!

ولن ينجو إنسان من مصيبة، حتى الأنبياء، كانوا أشد  
لناسي بلاء!

يروى أهل الأخبار والسيرة

أنّ ذا القرنين لم وصل إلى بابل مَرَضَ مَرَضاً شديداً،

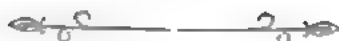
فمَرَفَ أَنَّهُ الْمَوْتُ،

فَظَنَّتْ لَهُ أُمُّهُ،

فَأَرَادَ أَنْ يَرِيضَ عَلَى قَلْبِهَا،

فَأَرْسَلَ لَهَا كَبْشاً ضَخْماً،

وأوصاه أنه إذا مات أن تذبّحه،  
ثم تطبخه، ثم تدعو إليه من لم تصبه مصيبة قط.  
أو لم يفقد عزيزاً، فلما مات نفذت وصيته،  
ولكن المفاجأة كانت أنه لم يأت أحد،  
لأنه لا يوجد بيت إلا وفيه فقد أو مصيبة،  
ففهمت رسالة ابنها، وقالت تدعوا له:  
رحمك الله، بررتني حياً وميتاً!



﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾

وهنَّ عظمه،  
واشتعلَ رأسه شيباً،  
وكانت امرأته عاقراً،  
لكنه كان يعرفُ أن الأسباب تحكمُ الناس،  
ولا تحكم الله جلَّ في علاه،

فرفع يديه ودعا: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾

فجاءته الاستجابة: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ﴾

من علَّقَ قلبه بالأسباب، تركه الله إليها؛  
ومن علَّقَ قلبه بالله، هبَّ له الأسباب؛



﴿ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا  
 قُلُوبُكُمْ مَثْوًى الْمُشْكَبِينَ ﴾

تمرضُ القلوب كما تمرضُ الأجسام.  
 وعلاجُ أمراضِ الأجسام، أيسرُ من علاجِ أمراضِ  
 القلوب.

وأنَّ من أفتك الأمراضِ التي تصيبُ القلبَ هو الكبر؛  
 أن يرى الإنسانُ أنه أفضلُ من غيرِهِ،  
 بسببِ مالٍ أعطيه، أو شهادةٍ حصلَ عليها، أو وظيفةٍ  
 شغلها

وهناك كبر ليس وراءه مميزات شخصية وهذا أسوأ  
 أنواع الكبر.

ففي الحديث: لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال  
 ذرة من كبر.

وكان دأب الصالحين أن يعالجوا فوراً أي شعور  
 بالاستعلاء يجدونه.

مرَّ الصحابي الجليل عبد الله بن سلام بالسوق يحملُ  
 حزمة خُطب.

فقال له: أليس الله قد أغناكَ؟

قال: بلى، ولكن أُرستُ أن أقمع الكبر.

﴿وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ  
وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾

ما أبغض الله سبحانه شيئاً أكثر من الظلم إلا الشرك،  
ومن أبغض الله سبحانه للظلم والظالمين،  
أنه يستجيب دعاء الكافر المظلوم، على المسلم الظالم.  
ليس حباً بالكافر، ولا بغضاً بالمسلم،  
ولكن حباً للعدل، وبغضاً للظلم.  
وقد قال ابن تيمية: إن الله ينصر الدولة لكافة  
العادلة، على لدولة المسلمة الظالمة.  
وكتب رجل إلى عبد الله بن عمر يقول:  
أكتب إلي بالعلم كله!  
فكتب إليه ابن عمر يقول: إن العلم كثير،  
ولكن إن استطعت أن تلقى لثه خفيف يظهر من دماء  
الناس، خميص البطن من أموالهم، كافاً لمساك  
عن أعراضهم، لازماً لأمر جماعتهم، فافعل، والسلام!

## ﴿ثُمَّ أَذْبَرْ وَاشْتَكَبَرْ﴾

فرق كبير بين الذي يفعل المعصية ضعفاً وهو متكبر، وبين من يفعلها وهو مستخف بها مستكبر، الذي يُذنبُ فتنصحه فيقول لك:

ادعُ لي، فقد غلبتني شهوتي، ووسوس لي الشيطان، ونهنت لي نفسي،

يحنلماً كثيراً عن الذي يُذنبُ فتنصحه فيقول لك: وما المشكلة، إنها حياة واحدة استمتع بها يا رجل! الأول عودته إلى الله سهلة، لأن مشكلته في جوارحه، والثاني عودته إلى الله صعبة، لأن مشكلته في قلبه! وكان سفيان بن عُيينة يقول:

من كانت معصيته هي الشهوة فارجُ له الخير، ومن كانت معصيته في الكبر فاخشِ عليه، لأن آدم عليه السلام عصى مشتهياً فغفر له، وليس عصى مستكبراً فلمن!

﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلٰٓى اَلَّا تَعْدِلُوْا ﴾

**البغض الشديد مهلكة.**

**والحُب الشديد مهلكة.**

وقد ابتلي يوسف عليه السلام بهما:

فأما لبغض الشديد، فكان سبباً لإلقائه في الجُبِّ.

وأما الحُب الشديد، فكان سبباً لإلقائه في لسعن،

نحن أحيانا لا نمالك زمام قلوبنا.

ولكننا أمرنا بالعدل سواء أحببنا أم كرهنا،

فلا تجعل سيئات من تُحب حسنات لأدك تُحبه.

ولا تجعل حسنات من تكره سيئات لأدك تكرهه.

كن عادلاً وضع الأشياء في أماكنها الصحيحة!

قال عبد الله بن محمد الزُّرَّاق: جئنا إلى الإمام أحمد،

فقال لنا: من أين أقبلتم؟

فقلنا: من مجلس أبي كريب.

فقال: اكتبوا عنه، فإنه شيخ صالح.

فقلنا: ولكنه يطمئن فينا.

فقال: شيخ صالح قد بلي بي!

﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّحْضَرَةٌ، إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾

إن أجمل نعيم الجنة ليس في حورها،

وإن كان هذا شيئاً جميلاً؛

وليس هي أنهارها،

وإن كان هذا شيئاً فاضلاً؛

ولكنه هي النظر إلى وجه الله تعالى؛

فإذا دخل أهل الجنة الجنة، يقول الله لهم: تريدون

شيئاً أزيدكم؟

فيقولون: ألم تدخلنا الجنة، وتبيض وجوهنا، وتنجنا

من النار؟

فيكشف الحجاب عن وجهه الكريم، فما أعطوا شيئاً

أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل؛

﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا  
أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا  
يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾

جاء أبو ليلى وعبد الله بن مغفل إلى النبي ﷺ  
يوم تبوك ليعضي كل واحد منهما فرسا ليجاهد عليها.  
فلما أخبرهما أنه لا يجد ما يعطيها،  
عادا أدراجهما وهما يبكيان.  
هذا بكاؤهما على قوات الطاعة.  
فكيف يا ترى كان بكاؤهما إذا اقتصرا معصية؟  
إنه حال المؤمن العسق،

**يعز عليه أن تغلق الأبواب بينه وبين الله!**  
هذا إن كان في طاعة سعى إليها بكل حواره.  
ثم لسبب ما حال الله بينه وبينها.  
فكيف لو أحس بالابتعاد عن الله بسبب ذنب أصابه؟

﴿وَلِيُغْفِرُوا وَلِيُصْفَحُوا أَلَّا تُجِبُونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ  
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

أكثر خلق يحبُّه الله سبحانه من العبد،  
هو الخلق الذي ارتضاه حل في علاه لنفسه.  
ولأنه يُحبُّ العفو والصفح،  
كان حبه للعافين عن الناس، والصابحين عنهم أكبر

من غيرهم!  
رَغِبَ النبي ﷺ بالصدقة يوماً،  
وكان عُبَيْة بن زيد فقيراً، لا يجد ما يتصدق به،  
فقام فقال: يا رسول الله إني تصدقتُ بعرصي على كل  
من ظلمني!

فلما كان الغد قال النبي ﷺ: أين عُبَيْة بن زيد؟  
فقام وقال: ها أنا يا رسول الله!  
فقال له: إن الله قد قبل منك صدقتك!



﴿قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾

واحد من أصعب الامتحانات في تاريخ ابشرية،  
شيخ جليل طاعن في السن حرم الولد لسنوات،  
ظلماً رزق ولداً وتعلق قلبه به،  
جاءه الأمر بذبحه!

فما تلكاً، ولا تباطأ،

كان يعرف تماماً أن رقباً الأنبياء وحي،  
فأسرع لينفذ أمر الله، وإن كان بغير ما يهوه قلبه  
لهذا بالضبط كان إبراهيم عليه السلام أمة،  
لأن الله تعالى كان في قلبه أولاً، حتى قبل نفسه!  
ولكن الله سبحانه أرحم من أن يكتب على خيله ذبح  
بنه ولكن لما تعلق قلب إبراهيم بإسماعيل عليهما السلام،  
أمره بذبحه!

نمة قلوب يغار الله تعالى أن يكون لأحد غيره حظ فيها،  
فكان المطلوب ذبح هوى إبراهيم في إسماعيل!



﴿وَقَبِّلْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾

ورد في كتاب بحر الدموع لابن الحوزي عن سعيد بن جببر أنه يؤتى بالعبد يوم القيامة فيعطى كتابه، فلا يرى فيه صلاته ولا صيامه،

ولا يرى أعماله الصالحة،

فيقول: يا رب هذا كتاب غيري!

قد كانت لي حسنات ولم يست في هذا الكتاب،

فيقال له: إن ربك لا يضل ولا ينسى، ذهب عملك

باغتياك للقاس!

احذر أن تتعبد الله لغيرك، أن تذهب حسناتك غداً

لمن كسرت خاطره، ولمن أكلت ماله، ولمن اعتديت

على عرضه، ولمن سرقته وظيفته بالواسطة!



﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْحِشُونَ ﴾

كان ابن القيم رحمه الله يقول:

خير أيام العبد على الإطلاق يوم توبته إلى الله  
وفي الأثر.

إذا تاب العبد نادى مناد أن فلاناً قد اصطَلَحَ مع ربه  
إنَّ الإنسان إذا كان له حبيبٌ من الناس فحدث بينهما  
خصام، فإِبه يتفننُ في استرضائه ليعيد المياد إلى م  
حارِبِها، والله سبحانه أحقُّ أن يُسترضى  
فإذا جئت بعملٍ يَخْدُسُ الحُبَّ الذي في قلبك لله.  
فتفنن في استرضائه كما لو كان محبوبك من الدنيا،  
تارة بالصدقة، وتارة بالاستغفار والصلاة وقرآن،  
فإنَّ النِّيلَ من الناس إذا استرضى رضي،  
فكيف بالله وهو أرحم الراحمين؟

## ﴿ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ ﴾

هذا ما قاتته آسيا بنت مزحم لزوجها فرعون عن  
 موسى عليه السلام،  
 فقال لها فرعون: يكونُ لك، ومّا أنا، فلا حاجة لي به!  
 ويقول النبي ﷺ معلقاً على هذه العادة:  
 والذي يُحلف به لو أقرّ فرعون أن يكون له قرة عين كما  
 أقرّت امرأته،

لهذه الله كما هداها، ولكن الله حرّمه ذلك!  
 القدر موكل بالمنطق، فتفاءلوا بالخير تجدوه،  
 الذي يستلّم وظيفته وفي قرارة نفسه أنها نجس،  
 فلن تكون عليه إلا كذلك!  
 والذي يتزوج وفي قرارة نفسه أنها صفقة خاسرة،  
 فلن تكون له إلا كما قال!  
 أحسنوا الظنّ والمنطق،  
 فربّما أتى المرء من قبل لسانه!

﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ يَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِنُونَ ﴾

ولو أنك تتبعت وصف ربنا لأكثر الناس في القرن.

لوجدت أنه يقول فيهم:

لا يعلمون، لا يشكرون، لا يعقلون

بالمقابل فإن ربنا يقول: ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ ﴾

فلا تركز إلى الناس كثيراً،

قدّم الذي عليك. وسئل الله الذي لك:

قال الإمام أحمد لحاتم الأصم: كيف السبيل إلى

لسلام من الناس؟

فقال له: تعطهم مالك ولا تأخذ من مالهم

ويؤذونك ولا تؤذيهم،

وتقضي مصالحهم ولا تكلفهم بقضاء مصالحك.

فقال له الإمام أحمد: إنها لصعبة يا حاتم!

فقال له: وليتلك تسلم!

﴿وَلَا تُطِيعُ كُلَّ خَلَافٍ مَّهِينٍ، هَمَّازٍ مَشَاءٍ يَنْجِمِ﴾

إنها النسيمة، مفرقة الجماعات، وهادمة العلاقات.

وما أكثر التمامين!

إذا تكلم أحد بحق أحد بالخير في غيابه،

لا تكاد تجد من يحمل هذا الخير إليه ويبلغه به،

وإذا تكلم أحد عن أحد بسوء في غيابه،

سعى كثيرون يوصلونها إليه!

وقد دأب الصالحون قديماً أن يُلْقُوا الأبواب في وجوه

التمامين!

هعن الفضل بن عياض قال: كنت عند وهب بن منبه،

فأتاه رجل فقال له: إني مررت بفلان وهو يشتمك،

فقل له وهب: أما وجد الشيطان رسولا غيرك؟!

فلا تكونوا رسلاً للشيطان!



﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ  
أَتَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾

إن امتناع إبليس عن سجدة أمره الله بها،  
كان سبباً في طرده من رحمة الله؛  
ولكن لو تأملنا في حال إبليس،  
وفي حال تارك الصلاة من المسلمين،  
لظهر لنا العجب

إن إبليس رفض لسجود آدم،  
وتارك الصلاة يرفض لسجود لرب آدم،  
فسيحان الله ما أرحمه، وما أحلمه على هذه الأمة؛  
إنه ينادي عباده للعودة إليه صباح مساء،  
مهما عظم الجرم، وكبرت الخفئية. وطال الهجران؛

## ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾

يقول يحيى بن معين:

ما رأيتُ أحداً مثل أحمد بن حنبل.

صحبته <sup>أربع</sup> ~~أربع~~ <sup>عشرة</sup> ~~عشرة~~ <sup>سنة</sup> ~~سنة~~،

فما افتخر علينا بشيء مما كان فيه من الصلاح

والخير!

وكان رحمه الله يقول: نحن قوم مساكين!

تواضع:

المال الذي يجعلك متكبراً، فقراً!

والعلم الذي يجعلك مستعياً، جهلاً!

والمنصب الذي يجعلك جباراً، انحناءاً!

والقوة التي تجعلك باطلاً، ضعفاً!

الفنى، والرفعة، والعلم تجدها عند المتواضعين!

## ﴿وَاضِرٌ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾

نحن في هذه الدنيا نمشي وهن قدر الله سبحانه،  
 المرض الذي أصابك لم يكن بإمكانك تجنبه،  
 والموت الذي نزل بحبيبك كان سيقع مهما حاولت،  
 والوظيفة التي فقدتها كنت ستفقدوها،  
 ولو مسحت كل صباح حذاء مديرك!  
 ويا للنبي ﷺ كيف يُرَبُّتُ على القلوب.  
 "اعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك،  
 وما أخطأك لم يكن ليصيبك!"  
 ويقول الحسن البصري: إنا إن لم نُؤجر إلا فيما نُحِبُّ  
 قل أجرتنا، وإن الله كريم يبتلي العبد وهو كاره  
 ليعطيه الأجر!



﴿وَلَا تَمُشْ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾  
إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴿

نزل الإمام أحمد إلى سوق بغداد  
وأشترى حزمة حطب وحملها على كتفه،  
فلما رأى الناس أسرعوا إليه.  
ترك أهل السجستان دكاكينهم،  
وتوقف المارة يستمعون عليه،  
وكلهم يقول له: نحن نحمل الحطب عندنا  
فاحمر وجهه، ودمعت عيونه وقال:  
نحن مساكين ولولا ستر الله لا فتضحنا!  
تعلم أحمد بن حنبل التواضع من النبي ﷺ،  
فقد علم أنه كان يحلب شاته، ويخصف نعله،  
ويخيط ثوبه، ويسابغ زوجته عائشة،  
ويعسج دمع زوجته صفية،  
وعندما تقسم أصحابه العمل في ذبح الشاة،  
فقال أحدهم أنا أذبحها. والآخر أنا أسلحها،  
قال النبي ﷺ: وأنا أجمع الحطب!



﴿ مَا يُلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾

الملائكة لا يكتبون فقط ما تقوله شفاهاً للناس،  
ولما يكتبون يلاحظونه في مواقع التواصل أيضاً،  
الكلمة الطيبة هي صديقة الحسنات،  
والكلمة الخبيثة هي صديقة السيئات،  
وكل ما تكتبه هناك سيبقى بعد موتك،  
فإن لم يكن لك في منشوراتك صدقة جارية،  
فعلى الأقل لا تترك خلفك سيئة جارية!

﴿ لَا تُدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُخْدِتُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴾

مفسر الأمور بالإنسان حتى يظن أن لا مخرج منها،  
ثم يأتي الفرج من الله سبحانه،  
من كان يعتقد أن هاجر التي كانت تركض  
بين الصفا والمروة بعثا عن شربة ماء،  
سينعجر بين قدميها أنها ماء زمزم ١٥  
لا يشربا هما فحسب، وإنما تشرب الأمم حتى يوم  
القيامة،  
هكذا يُبدل الله من حال إلى حال، طرفة عين،  
الشدة بتراءدوم لها، هكذا يقول ابن القيم:  
كلنا مرتبنا لحظات قاسية حسبنها نهاية العطف  
كل هذا أصبح اليوم مجرد ذكريات.  
فلا تيأس، وثق بربك. **فإن أعظم العبادة**  
**انتظار الفرج!**

﴿إِنْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ  
كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ زَائِتَهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾

تسألتها جيداً: لأبيه!

اعرف أين تصعُ سرك

ليس كل إنسان يؤتمن،

وليس كل موضوع يصح فيه البوح

لا تختلط بأهلك بالأناس،

واترك شيئاً منك لنفسك!

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾

كل الأسباب كانت تقف في وجه زكريا عليه السلام، هو يرحل الليل، وكل الطرق مغلقة، وهن عظمه، واشتعل رأسه شيباً، وامراته عاقرا فمن أين يأتي الولد وقد اجتمعت كل هذه السدود؟ ولكن زكريا عليه السلام كان يعلم أن الله قادر، فلما أفرغ قلبه من التعلق بالأسباب، ولما رآها لا شيء أمام قدرة الله سبحانه، وعلق قلبه بربه وحده، جاءه النداء الجميل:

﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ﴾

من عامل الله باليقين، سخر الله له المعجزات:

## ﴿ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ ﴾

الآية نزلت في الإفْصاح بالمجالس،  
ولكنها أعمُّ من هذا معنى، وأجزل عطاءاً  
كلٌّ من وسَّع على من اشتدَّت به، وسَّع الله عليه؛  
وكلٌّ من جبرَ خاطراً، جبرَ الله خاطره؛  
وكلٌّ من أسعدَ قلباً، أسعدَ الله قلبه؛  
وكلٌّ من خفَّفَ وجعاً، خفَّفَ الله وجعه؛  
وكلٌّ من مسحَ دمعاً، مسحَ الله دمعته؛  
لا أحدَ أكرم، ولا أوفى من الله سبحانه،  
ومِنَائع المعروف تقي مصارع السوء؛

﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾

هكذا وحده، فرداً،

بلا المال الذي جمعه،

ولا المنصب المرموق الذي شغلته.

ولا العائلة الكبيرة التي كنت تحتمي بها،

أنت وأعمالك والله!

عندما نام السلطان سليمان القانوني على هرامش الموت.

قال لمن حوله: إذا متُّ فأخرجوا يدي من التابوت،

ليعلم الناس أنه حتى السلطان قد خرج منها فارغ

اليدين!

لا بأس أن يعمل المرء لدنياه،

ولكن دون أن ينسى آخرته!

ولا بأس أن يجعل بيته جميلاً،

ولكن دون أن ينسى قبره!



## ﴿ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾

كان أحد الصالحين أقرع الرأس، أبرص البدن،  
أعمى العينين، مشلول القدمين واليدين،  
وكان يقول: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيراً  
من خلقه.

فمر به رجل وقال له: أعمى، وأبرص، وأقرع، ومشلول،  
فمن عافاك؟

فقال له: ويحك يا رجل، لقد جعل لي لساناً ذاكراً،  
وقلباً شاكراً، وجسداً على البلاء صابراً،  
للأسف، يعتقدُ النفس أن المال هو فقط النعمة التي  
تستحق الشكر،

وينسون الأعين التي ترى، وهي الدنيا عميان،  
والأيدي التي تأخذ وتعطي، وفي الدنيا مشلولون،  
والأرجل التي تمشي، وفي الدنيا مقعدون،  
هيا رب لك الحمد!



﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾

أي تتبدّل أحوالكم من حالٍ إلى حالٍ،  
وما بعد الضيق إلا الفرج،  
وما بعد المرض إلا الصحة،  
وما بعد الحزن إلا الفرح،  
وما بعد الافتراق إلا اللقاء،  
هذه الدنيا لا تثبت على حال أبداً،  
يتقلب فيها، نفاس بين الفقر والغنى، والصحة والمرض،  
والضيق والفرج، والوداع واللقاء،  
والسعيد من كان مع الله هي كل حال!



﴿ قَالَ سَأُوِي إِلَى جَبَلٍ يَخَصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ﴾

الذي تربى في بيت نبي غرق بالطوفان.  
والذي تربى في بيت فرعون شق البحر بمصاه،  
ليس المهم أين تعيش بل كيف  
ليس المهم البدايات بل النهايات؟

﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ ﴾

ليس المهم أين تكون، وإنما كيف تكون!  
المعدن الأصيل لا تغيره الأيام.  
فلا يزيده الغنى والمنصب والشهادات إلا تواضعاً  
والخبث خبيث، سواء أكان ماسح أحذية أو وزيراً  
في السجن قالوا ليوسف عليه السلام: "إنا نراك من  
المحسنين"  
وهو على كرسي الملك قالوا له: "إنا نراك من  
المحسنين"  
التبيل يبقى نبيلاً حيثما كان!



## ﴿ فَضَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾

هذه سارة، وقد بشرتها الملائكة بإسحاق! ضربت يديها على وجهها من الدهـول، عجزوز، وعقيم!

فألتى كانت تلد في شبابها، لن تلد في كبرها فكيف بها هي التي لم تلد في شبابها؟ لعلك تنظر الآن في وضعك وحالك، فنقول يا رب كيف تتحقق الأمنيات؟ ولكن ثق تماماً أن الله سبحانه إذا أراد بك الخير، حمله لك ولو على ظهر عدوك!

﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾

إِنَّ اللَّهَ لَمْ يُعْطِ الْعَاصِيَ مَالًا عَنْ ضَعْفٍ مِنْهُ سُبْحَانَهُ،  
وَلَمْ يَحْرِمِ الطَّائِعَ الْمَالَ عَنْ فَقْرٍ مِنْهُ سُبْحَانَهُ،  
وَلَكِنَّهَا دَارُ امْتِحَانٍ!

وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ لَا يُعْطِي إِلَّا الْحَكِمَةَ، وَلَا يَمْنَعُ إِلَّا الْحَكِمَةَ،  
فَمَا كَانَ لَكَ سَبِيصُكَ،

وَلَوْ وَقَفَ الْعَالَمُ كُلُّهُ بِرَيْدٍ أَنْ يَمْنَعَهُ عَنْكَ!  
وَمَا لَمْ يَكُنْ لَكَ لَنْ تَقَالَهُ،

وَلَوْ سَادَتْكَ الْعَالَمُ كُلُّهُ لِلْحَصُولِ عَلَيْهِ!  
رَفَعْتَ الْأَقْلَامَ وَجَعَلْتَ الصَّحْفَ!



## ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾

ليس قوة يد ورسد،  
وإنما قوة قلب وعقيدة،  
وأنت أيضاً: خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ!  
كُن راسخاً في إيمانك ثابتاً في عقيدتك.  
لو مالَّ الناس كلهم، فاثبتت  
ولو انتكس الناس كلهم، فلا تترك صلاحك!  
إن هذا الدين منتصرٌ بك، أو يدونك!  
وحدك الذي ستخسر إن مضت القافلة  
ولم تكن فيها!

## ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾

الدنيا بائمال أيسر،  
وبالأولاد أحلى،  
ولكن تأمل دقة التعبير في الآية: زينة،  
وليس قيمة!  
الإنسان بما يعرف لا بما يملك،  
وبما في قلبه لا بما في جيبه،  
بجنانه لا بسلطانه،  
وبرفته لا بقسوته،  
لا تكن كالذين حسدوا قارون على ماله،  
فلما خسف به وبيداره الأرض عرفوا الحقيقة.  
اعرفها أنت مبكراً!



## ﴿ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ ﴾

أنطاف الله تجري ونحن لا ندري.  
وفي كل شر يقع بنا، خير سنكتشفه لاحقاً!  
المسفينة في سورة لكهف لو لم تنقب،  
لأخذها الملك غضباً، وخسر الفقراء مصدر رزقهم!  
والغلام لو لم يقتل، لعنق وأشقر والديه!  
حتى الجدار، لو لم يَقم لصاع حق اليتيمين!  
ثقوا بالله، هرب الخير لا يأتي إلا بخير!



﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾

يُدَبِّرُ الْأَمْرَ، فَلَمْ تَقْلُقْ؟

استغْدُ بِيقينِكَ على اللَّهِ سبحانه

المرض الذي نزل بك، شعاؤه عنده.

والدين الذي أرهقك، سداؤه عنده.

والهم الذي أثقلك، زواله عنده.

والضيق الذي كدرَكَ، انقراحه عنده.

لَذَّ بِيَابِهِ دوماً!

إِنَّ الْكَرِيمَ مِنَ النَّاسِ، يَقْضِي حَوَائِجَ النَّاسِ!

هَكَيفَ بِاللَّهِ!

﴿ هَذَا مَا تُوعِدُونَ لِكُلِّ أَوْابٍ حَفِيزٍ ﴾

الأواب في اللغة صيغة مبالغة،

وفي المعجم كثير التوبة إلى الله.

وسيق الآية يقول:

لو لم يكن كثير الذنوب، ما كان كثير التوبة!

إياك أن تستكبر ذنبك أمام رحمة الله.

وإياك بالمقابر أن تستصغره أمام عقابه

كأن بين الرجاء والخوف:

رجاء من رحمته سبحانه، وخوف من عقابه!

وإياك أن يجعلك الشيطان نخجل من ذنبك فلا ترحم

إلى ربك،

فإنه ما سمى نفسه الغفور، إلا لأننا نذنب ويتوب علينا!

هَذَا أَذْنِبْتُ فِي الْيَوْمِ أَلْفَ مَرَّةٍ

تُبُّ إِلَى اللَّهِ أَلْفَ مَرَّةٍ!



من علق قلبه  
بالأسباب تركه  
الله إليها..  
ومن علق قلبه  
بالله هياً له  
الأسباب.



﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكْرِياً ﴾

كان زكريا عليه السلام عند الفاس بجاراً،  
ولكنه كان عند الله نبياً مرسلًا،  
قيمتك ليست في وظيفتك ولا شهادتك،  
قيمتك بما أنت عند الله!  
وفي الحديث: ما من نبي إلا ورع الفهم.  
فقالوا: وأنت يا رسول الله؟  
قال: وأنا كنت أرمي أرحاماً على قراريط / أجرة لقريش،  
فلا تخجل بوظيفتك ولا منصبك،  
ما دمت تأكل لقمته بالحلال، فافخر بنفسك!



## ﴿الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾

الآية نزلت في الصحابة في عزوة تبوك.  
العزوة الأصعب بين غزوات النبي ﷺ ،  
فهي العزوة الأبعد مسافةً ،  
والطقس يومها صيف ، والحر شديد ، والصحراء بظي .  
وسمي جيشها بجيش العسرة ، لأنه لم يكن هناك مال  
لتجهيز الجيش ، ومع ذلك سمى الله تعالى كل هذه  
المشقة : ساعة العسرة )  
الوقت يمضي سريعاً ،  
والأيام تتبدل كأنها الريح ،  
ولا يبقى من الطاعة إلا أجرها ،  
ولا يبقى من المعصية إلا وزرها ،  
وقد كانوا يتواصون في الشدائد :  
إنما هي أيام تمضي ، والموعود الجنة !

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنشَأَ  
وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾

يقول سعيد بن جبير:

الحياة الطيبة هي أن لا يحوجك الله إلى الناس؛  
وهذا قول جميع، ولكن في الآية مزيد؛  
فالحياة الطيبة ليست أن لا تمرض ولا تمقر،  
وليست في أن تكون صاحب جاه ومنصب،  
وإنما أن ترضى بقضاء الله مهما كان،  
فإن السخط على قدر الله ضحك وتعب ومشقة؛  
ومتى وهبك الله الرضى على كل أقداره،  
فجعلك حامداً في رخائك، صابراً في شدتك،  
فقد أحياك حياة طيبة؛



## ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾

في أحسن تقويم لا تعني وسيماً وأستقراً  
وإنما هي جسد هو معجزة في وظائفه:  
لجمال كالمال أرزاق، وزعمها الله لحكمة بين خلقه  
كان لقمان الحكيم عبداً من النوبة،  
وكان بلال بن رباح أسود البشرة،  
فما ضرهما ذلك شيئاً!  
وما نفع الوسامة والجمال في قلوب فاجرة ستأكلها  
النار!

هلا تسخر من شكل أحد وهيئته،  
أنت لم تخلق نفسك،  
هإن لم تحترم الخلق، فتأثب مع الخالق!  
لا تجعل أحداً يكره شكله وهيئته،  
لأنك تريد أن تضحك وتمزح وتندرد  
اللسان أحياناً أمضى من ضربة السيف!

## ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾

### هكذا خلقنا لا نطيق الانتظار!

حتى نحن الكبار، نشبه أولئك الأطفال الذين  
إذا وعدناهم بشيء سألونا كل دقيقة عنه!  
أدبوا هذه العجلة بالصبر،  
ثمة أمور كثيرة لا يقالها العجول بسبب عجلته،  
يروى الذهبي في سير أعلام النبلاء عن جعفر بن أبي  
عثمان قال:

كنت عند يحيى بن معين، فجاءه رجل مستعجل،  
فقال له: يا أبا زكريا حدثني شيء أذكرك به.  
فقال له: اذكرني أنك سألتني أن أحدثك فلم أفعل!  
يريد أن يقول له أن العلم لا يُعطى لمجـول!



## ﴿ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾

إنه شيخ المرسلين نوح عليه السلام،  
ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعو قومه.  
ولم يؤمن معه إلا قليل،

**نحن مسؤولون عن السعي، لا عن النتيجة!**

عن الطريق، التي مشينا بها لا عن الوصول؛  
وفي الحديث: يأتي النبيُّ وليس معه أحد!  
هذا لأن كل نبيٍّ يأتي مع قومه يوم القيامة.  
وهناك أنبياء لم يؤمن بهم أحد!

يقول الإمام الأوزاعي:

ماتَ عطاء بن أبي رباح يوم ماتَ وهو أعلم أهل الأرض،  
وما كان يشهد مجلسه إلا تسعة!

﴿ اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾

مهما كنتَ على صوابٍ، والآخر على خطأ،

ومهما كنتَ على الهدى، والآخر على ضلال،

الأخلاق تأتي أولاً

دخل لص بيت مالِك بن دينار، فلم يجد شيئاً يأخذه

فناداه مالِك: لم تجد شيئاً من الدنيا تأخذه،

فهل لك بشيءٍ من الآخرة؟

فقال اللص: نعم

فقال له: توضأ، وصل ركعتين،

فعمل، ثم جلس قليلاً، وقام وذهب إلى المسجد،

فلما سئل مالِك عن الرجل قال:

جاء ليسرقنا، فسرقتنا



﴿ عَرَفَ بَغْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَغْضِ ﴾

أحياناً عليك أن تلتزم الصمت،

لأن بعض المشاكل يفاقمها الكلام؛

تظن أنك لا تعرف،

ومثل أنك لم قر،

وتصرف بأنك لم تسمع،

وتعاند كأنك لم تفهم،

دخل على الخليفة المهدي رجل في يده نعل،

وقال له يا أمير المؤمنين هذه نعل النبي ﷺ،

فأخذها المهدي، وقبلها، وأمر للرجل بعشرة آلاف

درهم، فلما خرج من عنده قال المهدي لجسمائه:

أعلم أن النبي ﷺ لم يزهذه النعل ولم يلبسها.

ولكن لو كذبناه لقال للناس أتيت الخليفة بنعل النبي

ﷺ، فردّها!

﴿إِنْ تَنْسُوا نَسْأَلُكُمْ خَيْرَ شَيْءٍ لَكُمْ  
وَأَنْ تَصِيبَكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾

الشماتة بمصائب الآخرين من صفات المنافقين،

فأحبوا الخير للناس كأنه لكم.

واكرهوا الأذى لهم كأنه لكم.

قال سرى السقطي وكان عالم أهل زمانه.

منذ ثلاثين سنة وأنا أستغفر من قولي الحمد لله،

فقل له: وكيف ذلك؟

فقال: وقع ببغداد حريق، فخرجتُ اتفقَدُ دكاني!

فلقيتني رجل فقال: نجا دكانك!

فقلت: الحمد لله!

هنا نأخذ من ذلك الوقت حيث أردتُ الخير لنفسِي من

دون الناس!



## ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾

الدنيا متاع زائل هذه حقيقتها لمن وعى!  
ليست صديقة لأحد وتتخلى نهية المطاف عن الجميع  
والعاقل من تركه قيل أن يتورك!  
عندما جاء عمر بن الخطاب إلى الشام قال لأبي  
عبدة:

أذهب بنا إلى منزلك،  
فقال له: وما تصنع عندي؟ ما تريد إلا أن نبكي علي!  
فلما دخل عليه قال له أين متاعك؟ إني لا أرى عندك  
شيئاً.

فقال أبو عبدة: ليس عندي إلا ما ترى.  
فقال له: أعتدك طعاماً؟  
فقام أبو عبدة إلى وعاء، وأخرج منه كميرات خبز.  
فبكى عمر وقال له: كلنا غيرتنا الدنيا إلا أنت يا أبا  
عبدة هذا وأبو عبدة يومها أمير المسلمين على الشام!

﴿ قَدْ عَا رَبُّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرْ ﴾

احذر من دعوة أولئك الذين ليس لهم إلا الله،  
العامل المسكين الذي أكلت أجره،  
والزوجة الضعيفة التي أهنتها،  
والأخ الذي غصبت ميراثه،  
والجار الذي عتديت على أرضه،  
فلربما نمت أنت ليلتك،

وقام هو وتوضأ، فدعا بدعاء نوح عليه السلام  
هذا، فتلقى الله سبحانه دعوة المظلوم، وأصدر  
أمره لملائكته أن يتصروا عبده،  
سأل جعفر البرمكي أباه وهما في السجن:  
يا أبت بعد الأمر والنهي والأموال صرنا إلى هذا،  
فقال له أبوه: يا بُني، دعوة مظلوم غفلنا عنها ولم نفعل  
الله عنها!

## ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾

ليس عن عبث كانت الكلمة الطيبة صدقة؛  
ولكن لأنها تفتح الطرق، وترمم الأرواح. وتحضر  
المخاطب!

"من ينشط منكم لجمع الصحيح"

قالها إسحاق بن راهويه في مجلسه،

حوقعت في قلب البخاري فجمع لنا الصحيح؛

"إن خطك يشبه خط المحدثين"

قالها البرزالي لتلميذه الذهبي،

فحبب الله إليه بها علم الحديث؛

"أين أنت من الفقه يا شافعي؟"

قالها له كاتب مصعب الزبيري بعد أن كان الشافعي

مولعاً بالشعر، فصار بها الشافعي الذي نعرفه ويقول

عنه الإمام أحمد:

كان الشافعي كالشمس ندياً، وكان عافية للناس؛

﴿ فَأَتَيْنَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا ﴾

﴿ وَلَعْنُوا بِمَا قَالُوا ﴾

لا تعتبهن بالكلمات أبداً،  
كلمة واحدة قد تقودك إلى الحق،  
وأخرى قد تقودك إلى النار  
قال النبي ﷺ لمعاذ وهو يشير إلى لسانه:  
"أُمِّيكَ عَلَيْكَ هَذَا"

فقال له معاذ: أَوْمُواخِذُونَ نَحْنُ بِمَا نَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

فقال له: تَكَلَّمْتَ أَمَلَكَ يَا مُعَاذُ،

وَهَلْ يَكُوبُ النَّاسُ عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي النَّارِ

إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟



﴿ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ  
فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ﴾

لا تتحدث عن كل ما أعطاك الله إياه أمام الجميع،  
بعض النفوس مريضة،  
وبعض الأعين مسمومة،

حُصِّنْ عَطَايَا اللَّهِ لَكَ بِالْحَمْدِ وَالْكِتْمَانِ،  
أو على الأقل لا تبَّحْ بها للجميع،  
هالجانيد، لا يرضيه شيء إلا زوال النعمة!  
وقديماً حسد الأخوة أخاهم على حلم رآه في منامه.  
أتريدُ أنتَ أن تسلمَ من الناس  
على وظيفة، وزوجة، ومال، ومتصبلاً

## ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾

كُلِّ مَكَانٍ عِبَدَتِ اللَّهَ فِيهِ، سَيَشْهَدُ لَكَ؛  
كُلِّ مَكَانٍ عَصَيْتَ اللَّهَ فِيهِ، سَيَشْهَدُ عَلَيْكَ؛  
هَذَا كَثْرُ شَهَوَاتِكَ؛

اجْعِصْ لَكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ تَأْتِيهِ سَجْدَةً،  
وَفِي كُلِّ مَدِينَةٍ تَزُورُهَا صَدَقَةً،  
وَفِي كُلِّ قَرْيَةٍ تَقْدُمُ عَلَيْهَا خُلُوةً إِلَى الْمَسْجِدِ؛  
هَذِهِ الْأَرْضُ لَيْسَتْ تَرَابًا وَحَصَى فَحَسَبْ،  
هِيَ شَاهِدٌ رُبُّي فِي أَعْدَلِ مُحْكَمَةٍ فِي الْكَوْنِ،  
مُحْكَمَةُ اللَّهِ جَلَّ فِي عِلَالَةِ



﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ  
آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا ﴾

تأملها جيداً: برحمة منا!  
فإذا جاءك الفرَجُ بعدُ الصِّيقِ، تذكرُ أنه برحمة الله!  
وإذا جاءك الالتقاء بعد المرض،  
فليس بالدواء و لطبيب، وإنما برحمة الله!  
وإذا جاءتك الوظيفة بعد بطالة،  
فليس بشهادتك وقدراتك، وإنما برحمة الله!  
وإذا جاءك الولدُ بعد انقطاع وياس،  
فليس بالعلاج وهوتك، وإنما برحمة الله!  
كل هذه أسباب لا تضرُّ ولا تنفع، حتى يأذن الله!  
فكم من مريضٍ تداوى ولم يشف،  
وكم من حامل شهادة لم يتوظف،  
وكم من متزوج لم يُنجب.  
كل خير أنت فيه برحمة الله، فاعترف بالفضل  
لصاحب الفضل!

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ  
وَالطَّيْرَ وَآتَيْنَاهُ الْحَدِيدَ﴾

كُنْ مع الله، يَكُنْ مَعَهُ

لا تسأل متى، وكيف، وأين؟

إِنَّ الذي الآنَ الحديد لداود عليه السلام،

لن يصعبَ عليه أن يلبس لك قلوب الناس،

والذي جعل الجبال والطيور تردد تسميته وتلاوته،

لن يصعبَ عليه أن يجعلك مقبولا عند الناس،

أَنْتَ تتعبُ بالطاعة وهو واعدٌ بالتوفيق!

فقدّم لله ما يُحب، يُعطيك ما تُحب!



﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾

ثمة أمور يجب توضيح قبل أن تحصل عليها،  
لأنك لو أخذتها باكرًا، لضيعتها باكرًا.  
إن الذي نصبر المسلمين في بدر،  
كان قادرًا على أن ينصرهم في مكة وهم مستضعفون؛  
ولكنه أحر النصر ليربيهم أولاً،  
لينضجوا، ويعرفوا أن الرسالة التي يحملونها،  
أكبر بكثير من قريش،  
إنها رسالة التوحيد التي خلق الكون كله لأجلها!!  
يا عزيزي: لو كسرنا البيضة قبل اكتمال نمو الفرج  
فيها، ماتت!  
ولو حصدنا القمح باكرًا، لما صار خبزاً!  
والطعام الذي لا يأخذ حظه من النار، يخرج نيئاً لا  
يؤكل!  
لكل شيء أوان، فلا تستعجل!

﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾

سُئِلَ حَكِيمٌ: مَا هُنَاكَ أَفِيحٌ مِنَ الْغُلِّ؟  
قَالَ: نَعَمْ. الْمَحْسَنُ إِذَا تَحَدَّثَ عَنْ إِحْسَانِهِ  
مَنَعَ اللَّهُ نَصَبَ عَيْنِكَ فِي كُلِّ خَيْرٍ تَعْمَلُهُ،  
لَا تَنْتَظِرُ جَزَاءً مِنْ أَحَدٍ،  
وَلَا تَبْحَثَ عَنِ التَّصْفِيقِ وَالْمَدِيحِ،  
كُلُّ عَمَلٍ أَرَدْتَ بِهِ النَّاسَ فَهُوَ لِلنَّاسِ،  
وَكُلُّ عَمَلٍ أَرَدْتَ بِهِ اللَّهَ فَهُوَ لِلَّهِ،  
مَخِيفَةٌ جِدًّا مَقُولَةُ ابْنِ الْقَيِّمِ،  
إِذَا لَمْ تُخْلِصْ، فَلَا تَتَعَبْ!



﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ رِزْقِهِ إِلَّا أَنْ يَغْلُفَهَا﴾

فكيف بهذا الخير السدي في قلبك؟  
وكيف بهذا الحب الذي تعمله للناس؟  
وكيف بفرحك، بنجاح لجميع كأنه نجاحك؟  
وكيف بألمك لألم الناس كأنه ألمك؟  
يا صاحبي، إن الله لا ينظر إلينا من فوق،  
وإنما ينظر إلينا من الداخل،  
فأصلح موضع نظر المَلِكِ!  
"ألا إن في الجسد مضعة إذا صلحت صلح الجسد كله،  
وإذا فسدت فسد الجسد كله،  
ألا وهي القلب!"

## ﴿ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴾

هذه أمنية أهل القبور،  
"يا ليتني قدّمتُ لحياتي"  
وليس يا ليتني قدّمتُ في حياتي!  
لأنّ حياتنا الحقيقية لم تبدأ بعد،  
حياتنا تبدأ حين نوضّع في قبورنا:  
فإمّا روضة من رياض الجنّة وإمّا حفرة من حفر النار!  
فإذا كان العمل الصالح أمنية أهل القبور،  
فأنت في الأمانة الآن، فاعمل!  
وقف الحسن البصري يوماً على قبر يُدفن فيه ميت،  
فقال لمن حوله: ما تراه يتمنى الآن؟  
فقالوا: أن يرجع، فيعمل صالحاً.  
فقال لهم: أنتم الآن في الأمانة، فاعملوا!





﴿وَمَا تُغْنِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾

لا تَعْشَ قَلْبًا عَلَى الْمُسْتَقْبَلِ،  
عَشْ مَاعِيَا فِي رِضَى اللَّهِ وَلَا تَقْلُقْ،  
فَالْمُسْتَقْبَلُ بِيَدِهِ وَحْدَهُ،  
رِزْقَكَ لَنْ يَأْخُذَهُ غَيْرُكَ،  
وَلَكِنْ عِبَادَتُكَ لَنْ يَقُومَ بِهَا غَيْرُكَ،  
يَنْ اللَّهُ سُبْحَانَهُ قَدْ تَكْفُلُ لَكَ بِالرِّزْقِ،  
وَطَلَبُكَ مِنْكَ الْعَمَلُ،  
فَلَا تَتَشَغَلْ بِمَا تَكْفُلُ لَكَ بِهِ،  
وَتَنْسَى الَّذِي طَابَتْ بِكَ بِهِ؟

﴿فَاتَّابَكُمُ عَنَّا بِغَمٍّ﴾

يبتليكَ بالفقد لتعرفَ  
أن ليس غيره يبقى لك،  
ويبتليكَ بالخذلان لتعرفَ  
أنه أمانك الوحيد،  
ويبتليكَ بالتعثر لتعرفَ  
أنه لا يقيمك غيرهما،  
المصائب ليست دوماً للالتقاسم،  
كثيرٌ منها للتأديب، وتصحيح الطريق؛



﴿ لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾

اللَّهُ لَا يَضْعُ ثَمَارًا عَلَى غَصْنٍ لَا يَسْتَطِيعُ حَمَلُهَا،  
كُلُّ مَسْئُولَةٍ أَلْقَاهَا عَلَى عَاتِقِكَ، أَنْتَ لَهَا  
كُلُّ مَعْرَكَةٍ أَلْقَاكَ فِي غَمَارِهَا، أَنْتَ لَهَا  
كُلُّ تَغَرُّ كَلْفَكَ حِرَاسَتَهُ، فَهَذَا تَغَرُّكَ، فَالزُّمَةُ  
كُلُّ هَمٍّ وَغَمٍّ وَحَرْنٍ أَصَابَكَ،  
أَنْتَ بِحُجْمِهِ، وَقَادِرٌ عَلَى حَمَلِهِ  
الْمَصَابِعُ وَالْمَصَائِبُ تَقْوِيكَ،  
فَلَا تَتْرَكَ مَوْقِعَكَ

﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ  
لَلَّيْتُ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾

ذكر الله في الرخاء،

فذكره في الشدة؛

ولا أحد أَوْهَى من الله؛

دُخِرَ لك عند الله حبايا صالحة،

حتى إذا وقعت في الشدة،

ذكر الله لك عبادتك في الرخاء، فأنجالك؛



### ﴿ فَصَبِّرْ جَمِيلٌ ﴾

اصْبِرْ يَا صَاحِبِي،  
الزَّمْ مَصْحَفَكَ، وَحَافِظْ عَلَى مِثْلِكَ،  
حَسِبْ وَحَمْدُكَ.  
فَمَا هُوَ إِلَّا قَدَرُ اللَّهِ؛  
وَمَا الدُّنْيَا إِلَّا امْتِحَانٌ سَيَنْتَهِي،  
وَمَحْطَةٌ عِبُورٍ سَنَجْتَازُهَا فِيهَايَةِ الْمَطَافِ،  
وَكُنْ عَلَى يَقِينٍ؛  
أَنَّا سَنَحْلِسُ يَوْمًا فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ فِي الْجَنَّةِ،  
نَضْحُكَ عَلَى كُلِّ هَرَاءٍ الدُّنْيَا!

﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾

هذا لأن صلاة الفجر شاقة،  
والصيام مُتعب،  
والحج مُضن،  
وكلمة الحق خطيرة،  
والشهوة مستعرة،  
والمال عزيز،  
والعفة تحتاج إلى مجاهدة،  
والأمانة أصعب من الخيانة،  
وغض البصر بخلاف الهوى،  
والنفس أقارء بالسوء،  
وطريق الجنة شائكة،  
بينما طريق النار مُعبدة.



﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ ﴾

حياةً حافلة:

علم، وظيفة، وزوجة، وأولاد، وجمع مال،

ثم ماذا؟

ثم يهلون علينا التراب، ويمصون..

وتبدأ الرحلة:

مما إلى الحقبة. ومما إلى النار

التي ليست إلا دابة للعبور نحو الآخرة،

فاختر دابتك!

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾

تُؤذيه الكلمة الجارحة،

ويضيق صدره بالقول السيئ،

وهو نبي!

فما بالك بمن هم بؤته،

سلاماً، ثم سلاماً، ثم سلاماً،

على الذين يعتارون كلماتهم،

كما يختارون ملايسهم.

لأنهم يعرفون أن الكلام أمانة أيضاً!





أما السبب: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى ﴾  
وأما النتيجة: ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ﴾

إذا ضاقت بك الدنيا، فتصدق من مالك وقلبك،  
أطعم جائعاً، ودل حيراناً، وأقم متعراً، واقض ديناً.  
الصدقات ليست أموالاً فقمة،  
جبر الخواطر صدقة،  
وإزالة دمة صدقة،  
والمسح على قلب مكسور صدقة،  
ثم إنه لا شيء أجلبُ للهموم من المعاصي،  
ولا شيء أريحُ للقلب من الطاعات،  
هَذَا ضَاقَ صَدْرُكَ، وَانْشَغَلَ قَلْبُكَ،  
فَرَأَيْتَ عِبَادَتَكَ

﴿ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ﴾

صحيح أن العتاب مجلاة للقلوب، وتطهير للجروح ،  
وتنظيف الجرح قبل خياطته أسرع تماثلاً للشفاء ،  
ولكن، ليست كل الظروف مؤاتية للعتاب،  
أحياناً عليك أن تتظاهر أنك لم تفهم رغم أنك فهمت  
كل شيء!

وأن تتظاهر بأنك لم تَرَ، رغم أنك رأيت كل شيء!  
تفاؤل أحياناً، ولو بدا الأمر لك خسارة لحظية!  
النبلاء يعرفون: أن كسب الناس أولى من كسب  
المواقف؛

وهم يُسرّها يوسف عليه السلام في نفسه إلا لأن  
التفاضل من شيم الكرام!  
كان الإمام أحمد يقول: تسعة أعشار العافية في  
التفاؤل، ويقول الإمام الشافعي: الكيس العاقل هو  
الضلع المتعابي،

ويقول أكنم بن صيفي: من تشدد فرّق، ومن تراخى  
تألف، والسرور في التفاؤل،  
ويقول ابن القيم: من المروءة التفاؤل عن عثرات  
الناس!

## ﴿ فَلَا يَخْزِنَكَ قَوْلُهُمْ ﴾

سَيَقُولُونَ هَيْكًا مَا لَيْسَ هَيْكًا، فَلَا تَلْتَمِزُوا  
 وَتَعَزَّوْا بَيْنَ سَيَقُولُكُمْ، وَهُمْ خَيْرٌ مِنْكُمْ  
 قَالُوا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ سَاحِرٌ وَمَجْنُونٌ، وَكَذَّابٌ  
 اتَّهَمُوا يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالسَّرْقَةِ  
 وَاتَّهَمُوا مَرْيَمَ ابْنَتَ ابْنَتِهَا  
 ضَعُ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ نَصَبَ عَيْنَيْكَ:  
 لَا نَحَاةَ مِنَ السُّنَنِ النَّاسِ مَعَهَا بَلَفَتْ مِنَ الصَّلَاحِ  
 وَهِيَ حَلِيَّةُ الْأَوَّلِيَاءِ:  
 قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِرَبِّهِ: يَا رَبُّ أَسْأَلُكَ أَنْ لَا  
 يَذْكُرَنِي أَحَدٌ إِلَّا بِخَيْرٍ.  
 فَقَالَ لَهُ اللَّهُ: يَا مُوسَى ذَلِكَ شَيْءٌ لَمْ أَجْعَلْهُ لِنَفْسِي  
 أَهْأَجْعَلُهُ لَكَ؟  
 قَالَ النَّاسُ أَنْ لَقِيَ تَعَالَى رُوحَهُ وَوَلَدًا،  
 أَتَقْرِيْدُ أَنْ تَسْلَمَ مِنْهُمْ أَنْتَ؟

## ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾

إذا نزلت بك الهموم والهزائم ، فراجع نفسك !  
فقد يبتليكَ الله تعالى ،  
ليصلح هيكَ شيئاً لا يصلحه إلا الابتلاء !  
يروى أهل الأخبار والسُّير ،  
أن السماء أمسكت عن المطر في زمن سليمان عليه  
السلام ، فخرج بالناس لصلاة الاستسقاء ،  
فرأى نملة رافعة يديها إلى السماء تقول :  
اللهم إنك تعلم أن البلاء لا ينزل إلا بذنب ،  
ولا يرفع إلا بتوبة ،  
ونحن خلق من خلقك ،  
وعباد من عبيدك ،  
فلا تهلكنا بذنوب بني آدم !  
فقال سليمان عليه السلام للناس : أرجعوا فقد امتجيب  
لكم يدعاء هذه النملة !



## ﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ﴾

فَإِنْ قَالُوا فَبِمَا لَيْسَ بِكَ،  
وَإِنْ عَلَّمْتُكَ فِي نَفْسِكَ،  
وَإِنْ رَمَوْكَ بِسُوءِ ظَنِّهِمْ،  
وَإِنْ عَمَزُوا نَفْسَكَ وَلَعَزُوا،  
فَلَنْ يَصْرَكَ كُلُّ هَذَا مَا دَامَ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قَلْبِكَ،  
وَإِنْ كَالُوا لَكَ الْمَدِيحَ أَهْلَانَا مِنَ الْكَلَامِ،  
وَإِنْ مَجَّدُولَكَ وَصَنَّفُواكَ مِنَ الصَّالِحِينَ،  
وَإِنْ أَلْبَسُواكَ ثِيَابَ الْمُتَّقِينَ،  
فَلَنْ يَتَفَعَلَ كُلُّ هَذَا مَا دَامَ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قَلْبِكَ،  
وَتَذَكَّرْ: إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى وُجُوهِكُمْ  
وَأَنْفُسَا يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ،  
فَأَصْلَحْ مَوْضِعَ نَظَرِ الْخَالِقِ ثُمَّ امْضِ مَطْمَئِنًّا!

﴿ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ﴾

الشكوى إلى الناس مجلبة للشفقة،  
والشكوى إلى الله مجلبة للرحمة،  
لا يشكو الضعيف لضعيف مثله، وكل الناس ضعفاء!  
ولا يشكو الفقير لفقير مثله، وكل الناس فقراء!  
الضعيف يلوذ بالقوي، ولا أقوى من الله!  
والفقير يلوذ بالغني، ولا أغنى من الله!  
صش ضعفك كاملاً أمام الله،  
أيك، واشك، وتذلل، واطلب،  
أما مع الناس هارفع رأسك، ومض على جرحك،  
نظرات الشفقة هي عيون الناس، كسر آخر،  
والإتكاء على أكتاف الناس، عرج آخر!



## ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾

نَنْتَ لَا تَعْلَمُ بَاتِيهَما تَمْرَحْ أَكْثَرُ: بِالسَّبَبِ أَمْ بِالنَّتِيجَةِ؟

السَّبَبُ: اذْكُرُونِي

النَّتِيجَةُ: أَذْكُرْكُمْ

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُعْصِي غُلْبَةً،

وَلَا يُطَاعُ إِلَّا تَكْرَمًا!

وهذا أجمل ما هي الطاعة: أن تعرف أنه تكرم عليك!

لقد نظرَ إلى قلبك، فاستحسنه فألهمك ذكره!

ويا لها من ترقية، ويد له من نيشان!

ثم استمتع بالنتيجة: أَذْكُرْكُمْ

تأمل المشهد بقلبك، أنت تذكره بلسانك وتعدّ تسابيحك

على أصابعك،

وملك الملوك وجبار السماوات والأرض، يذكرُك!

لو قيل لك: أَنْ رَئِيسًا أَوْ مَلِكًا ذَكَرَكَ لَطَرَتْ فَرَحًا،

وربما لن تقام تلك الليلة!

فما بالك والذاكر لك مَنْ بيده ملكوت كل شيء؟

﴿وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ  
إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾

قالوا، أفضلُ العبادة انتظارُ الفرج،  
أن يكونَ كل ما حولك يُوحِي أن ليس هناك حل،  
ولذلك مؤمن أن الأمر بيد الله!  
وأن كل ما حولك مجرد أسباب تجري على الناس،  
لا على الله!  
لا تياسوا، لم يقلها يعقوب عليه السلام في رخاء،  
قالها حين فقد بنيامين، بعد فقد يوسف عليه السلام،  
فما هي إلا أيام حتى كان يتمُّ ربح يوسف،  
وما هي إلا أيام بعدما، حتى كان يضمّه إلى صدره،  
ثَقَّ بِاللَّهِ دَوْمًا!



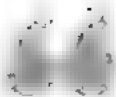


## ﴿ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴾

لن ينسى الله لك خواطرَ جبرتها،  
ولا دموعاً مسحتها،  
ولا حزناً أزلته،  
لن ينسى لك دموعك وأنت تدعوه دعاء الموقن بالإجابة،  
لن ينسى لك كتمان الإساءة وأنت القادر على ردّها،  
ولا انسحابك من معركة الكلّ فيها خاسر،  
لن ينسى لك صبرك في لحظات البلاء،  
ولا شكرك في لحظات الرخاء،  
سترى ماذا يفعل الله بهذا كله؟



فَإِنْ جَهِلَ النَّاسُ  
فَضْلَكَ فَلَا تَبْتَئِسْ  
يَكْفِي أَنْ اللَّهَ  
يَعْلَمَ مِنْ أَنْتَ



## ﴿ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾

أَدَامَ اللَّهُ عَلَيْنَا النِّعَمَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهَا حَقْنًا، فَزَهَّدْنَا فِي شُكْرِهِ!

نَشْتَرِي مَا نُرِيدُ، وَنَنْسَى مِنْ أَعْطَانَا الْمَالَ!  
نُرُوحُ وَبِجْيَاءِ كُلِّ قُوَّةٍ، وَنَنْسَى مِنْ أَعْطَانَا الصِّحَّةَ!  
نَمُرُّ بِجَانِبِ الْمُسْتَشْفِيَّاتِ، وَنَنْسَى مِنْ أَعْطَانَا الْعَافِيَةَ!  
نَمُرُّ بِجَانِبِ الْمَسْجُونِ، وَنَنْسَى مِنْ أَعْطَانَا الْحُرِّيَّةَ!  
نَشَاهِدُ الْمَوْتَ وَالْدَّمَارَ فِي الْقُلُوبِ، وَنَنْسَى مِنْ أَعْطَانَا الْأَمْنَ!

نَحْمَلُ مَرَضَ يُصَابُ بِهِ الْإِنْسَانُ،  
هُوَ أَنْ يَأْتِيَ النِّعْمَةَ حَتَّى لَا يَعُودَ يَرَاهَا نِعْمَةً،  
الْبَيْتُ الَّذِي بِأُورُشَلِيمَ، نَحْمَلُ لِلْمَشْرُودِينَ!  
وَالزَّوْجُ الَّذِي بِحَتُّوَيْكَ نِعْمَةً، فَانْظُرِي لِلْأَرَامِلِ!  
وَالْأَيُّنَ الَّذِي يَرْكُضُ إِلَيْكَ نِعْمَةً، فَانْظُرِي مَنْ حُرِمَ  
الْإِنْجَابِ!

ضَارِقُونَ تَحَنُّنَ فِي نِعَمِ اللَّهِ،

مَقْصُرُونَ فِي شُكْرِ مُنْعِمِهَا.

فَرُدُّوهُ دَوْمًا لِلَّهِ الْحَمْدُ: فَبِالشُّكْرِ تَدْوُمُ النِّعَمِ!

## ﴿ إِنَّ الْخَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ الشَّيْئَاتِ ﴾

المعادلة بسيطة:

إن لم تستطع أن تتخلص من معصية،

فحاسبها بالطاعات!

إذا نظرت إلى ما لا يحلُّ لك، فتوضَّ وصياً

وإذا اغتصبته، فتصنَّ

إذا هزمت الشيطان مرة.

فهناك ألف عبادة تردُّ له بها الصاع صاعين!

فليس المذنبين أحبُّ إلى الله من دعاء الطائمين،

الطائع قد يكون الشيطان يتس منه.

أما المذنب فما زال يعترض الحروب:

ينكسر بالمعصية، ويجبر نفسه الطاعة،

ينعثر بالذنب، ويقوم بالعبادة!

فما دمت تُذنب، وأنت منكسر،

وترجع إلى الله وأنت في خجل،

فطمئن فإنَّك على خير!

﴿ فَسَقَرْ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ ﴾

لا تنتظر الشاء على كل خير تفعله،  
ولا تبحث عن التصفيق على كل عمل بطولتي،  
عش بقلب أبيض،  
ساعد من يحتاج المساعدة،  
وواس من يحتاج المواساة،  
أقم متعشراً، وانصُر ضعيفاً،  
اجعل قبل الخير عادة فيك كالنفع،  
إذا صدقت، فأشج بنظرك سريعاً،  
كي لا ترى انكسار الفقير أمام عينيك!  
وما أنبل موسى عليه السلام حين قدّم يد المساعدة  
ثم مضى، فأثابه الله بما هو أجمل من كلمة شكر،  
تذكر دوماً أنك تتعامل مع الكريم!



﴿ قَالَ لَا تَحْزِنُوا عَلَيْهِ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ﴾

حططوا لقتله،

ثم قرءوا أن يفعلوا خير الشرين،

رموه في الجُبِّ، فبيع كما يُباع العبيد في الأسواق،

وعندما جاؤوه معتذرين، طوى الصَّفحة سريعا،

**هكذا هم النبلاء، لا يذكرون الماضي،**

كان مسعود الهمداني كثير الصَّفح عن الناس،

وإذا جاءه من يعتذر منه،

قال له: **الماضي لا يُذكر!**

وعندما مات مسعود، رأى في المنام،

فقال له ما فعل الله بك؟

قال: أوقفني بين يديه وقال لي:

يا مسعود الماضي لا يُذكر، خذوه إلى الجنة!

﴿وَلَا تَنسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾

لن أخاصمك،

أنا لا أرفع سيفاً في وجه شخص حبيته.

لا تهون عليّ العشرة. ولن أنسى الفصل بيننا،

لكن حين تصل الأمور إلى طريق مسدود،

ويسقط شيء من الاحترام والثقة،

أتوضأ وأصلي ركعتين ثم أقول:

"اللهم اربط على قلبه وقلبي، وأبدئه

خيراً مني وأبدئي خيراً منه"

ثم أسلم وأمضني،

وأنا حين أمضي لا أعود!

﴿ قَالَ أَخْرِثْهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴾

ثم يكن لخضر بطل القصة الوحيد.  
موسى عليه السلام كان يطلاً أيضاً!  
وحين أنكر على الخضر خرق السمينة،  
لأن ظاهر الأمر عدوان،  
وحين أنكر قتل الغلام،  
لأن ظاهر الأمر جريمة.  
بدا إنساناً صاحب مبادئ من الطراز الرفيع،  
لا يسكت على ما يراه باطلاً،  
ولا يحابي الخضر رغم أنه قطع الأرض ليتعم منه!



اللَّهُمَّ يَقِينَا كَيَقِينُ مُوسَى

لَمَّا رَأَى الْبَحْرَ أَمَامَهُ،

وَفَرَعُونَ وَرَاعَهُ،

وَقَوْمَهُ يَقُولُونَ لَهُ:

﴿إِنَّا لَمُنذِرُكَوْنَ﴾

قَالَ:

﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْلِكُ﴾

وَيَقِينَا كَيَقِينُ النَّبِيِّ ﷺ

لَمَّا قَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ:

"لَوْ نَظَرْنَا أَحَدَهُمْ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَرَأَيْنَا"

فَقَالَ لَهُ ﷺ:

"يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِأَتَيْنِ اللَّهَ ثَالِثَهُمَا"



﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ۚ إِن كَادَتْ  
لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾

اللَّهُمَّ شَيْئًا كَهَذَا،

رَبَطْنَا عَلَى الْقَلْبِ،

بشبه الذي كان على قلب أم موسى!

﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾

اللَّهُمَّ شَيْئاً كَهَذَا:  
لأُمِّيَاتِنَا، لانتظارِنَا، للهفَّتِنَا،  
لما غَابَ عَنِ النَّاسِ وَعَلِمْتَهُ أَنْتَ



﴿تَوْفِينِي مُسْلِمًا وَالْحَقَنِي بِالصَّالِحِينَ﴾

اللهم خفاهَا لَا تَنَا وَلَا عَلَيْنَا،

لَا تُؤْذِي وَلَا تُؤْذِي،

لَا تَجْرَحَ وَلَا تَجْرَحَ،

لَا تَهِينُ وَلَا تَهَانِ.

اللهم عبورًا خفيًّا،

لَا نَشْقَى بِأَحَدٍ وَلَا يَشْقَى بِنَا أَحَدٌ!

## ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾

هنا يسفريح القلب،

ويطيبُ الشليم.

فمن ذا يُدَبِّرُ الأمرَ كما يفعل صاحبُ الأمر؟



﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا ﴾

ثَقَى بِاللَّهِ،

أَنْ فِي تَأْخِيرِ الْأَعْمَلِيَّاتِ حِكْمَةٌ،

حَتَّى وَإِنْ غَابَتْ عَنْكَ،

وَفِي الْمُنْعِ رَحْمَةٌ،

حَتَّى وَإِنْ لَمْ تَدْرِكْهَا،

مَعَ الْوَقْتِ، سَتَدْرِكُ أَنْ اللَّهَ أَرَادَ لَكَ

خَيْرًا مِمَّا أَرَدْتَ لِنَفْسِكَ!

## ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ﴾

أحمل اعتذار عن خوص صراع في التاريخ،  
قاله هايبيل لأخيه قابيل ﴿

لا تدعهم يجعلونك أن تتنازل عن دينك،  
ولو كفك الأمر حياتك﴾

نعم، يعيش المرء دون دين،  
ولكن، هل سألت نفسك كيف يعيش؟

كالبهائم أكرمك الله،

يبحث عن أكبر قدر من اللذة،

وعن أطول وقت للبقاء،

ثم نهاية المطاف يموت﴾



## أصل الشرور أربعة :

﴿ يَا أَتَيْتَ اسْتَأْجِرُهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾

١- الاتعالي :

﴿ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ ﴾

قالها إبليس

٢- الاستكبار :

﴿ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾

قالها عاد

٣- الاستبداد :

﴿ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى ﴾

قالها فرعون

٤- الغرور :

﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عَنِّي ﴾

قالها قارون



﴿ لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾

اللَّهُ لَا يَضَعُ ثِمَارًا عَلَى خَشْنٍ  
لَا يَسْتَطِيعُ حَمَلُهَا  
كُلُّ مَسْئُولِيَةٍ أَنْقَاها اللَّهُ عَلَى عَاتِقِكَ،  
أَنْتَ لَهَا  
كُلُّ مَعْرَكَةٍ أَلْقَاكَ فِي غِمَارِهَا،  
أَنْتَ لَهَا  
كُلُّ ثَقَرٍ كَلَّفَكَ خَرَامَتَهُ،  
فَهَذَا تَتْرُكُ هَالِكًا  
كُلُّ هَمٍّ وَغَمٍّ وَحَزْنٍ أَصَابَكَ،  
أَنْتَ بِحِجْمِهِ، وَقَادِرٌ عَلَى حَمَلِهِ  
الْمَصَاعِبِ وَالْمَصَائِبِ تَقْوِيكَ،  
هَلَّا تَتْرُكُ مَوْقِعَكَ؟



لا السَّيَّارَةَ جَاؤُوا مِنْ تَلْقَاءِ أَنْفُسِهِمْ.  
ولا وَاَرَدَهُمْ أَدْلَى دَلْوِهِ لِأَنَّهُ اخْسَارُ.  
ولا الْعَزِيزُ اشْتَرَاهُ لِأَنَّهُ شَاءَ،  
كُلُّ مَا فِي الْأَمْرِ أَنْ

﴿أَوْلِيَاءُ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُ وَنُصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصُ قَالَ لَا تَخَفْ ﴾

أَجْمَلُ مَا تُقَدِّمُهُ لِأَحَدِهِمْ،  
أَنْ تَرْبِطَ عَلَى قَلْبِهِ



### إنها سورة الكهف :

السَّفِينَةُ التي لَوْلَمْ تُنْقِصْ لَعُلَّيْتَ؛  
يبتلي الله بالصغيرة لِنَحْيِ مِنَ الْكَبِيرَةِ  
وَالْغَلَامَ الَّذِي نُوْنَمُ يَقْتُلُ لِأَشَقَى وَالِدِيهِ،  
فِي أَخْذِ اللَّهِ عَطَاءُ  
وَالْجِدَارِ الَّذِي لَوْلَمْ يَقُمْ؛  
لِنَضَاعِ مَالِ الْيَتِيمِينَ  
أَيُّ وَفَاءٍ هَذَا يَا رَبُّ؟  
لِذَا مَعَ كُلِّ ثَقْبٍ،  
وَكُلِّ فَتْخَةٍ،  
وَكُلِّ نَعْمَةٍ،

رَدَّدَ. "اللهم صبراً على ما لم تحط به خيراً"

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ  
وَاللَّهُ مُتِمِّمٌ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾

لا القرآن سيخبو،  
ولا الحجاب سيُخلع،  
ولا الأذان سيسكت،  
ولا الجهاد سيتوقف..  
قافلة الإسلام سائرة،  
من ركب فيها وصل،  
ومن تخلف عنها تام،  
"وليبقن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار"



أَمَّا الْقَرِيبُ فَقَالَ:  
﴿ اذْكُلُوا يَوْسُفَ ﴾

وَأَمَّا الْغَرِيبُ فَقَالَ:  
﴿ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ ﴾

إِنَّ الْحُبَّ رِزْقٌ  
وَأَنْتَ لَا تَعْرِفُ فِي أَيِّ قَلْبٍ رِزْقُكَ!

﴿أَخْطُتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾

عندما يعلمُ هُدهدُ

ما خفيَ على نبيِّ،

فهذا درسٌ يليقُ مفادهُ:

أن تواضعوا،

ما فاتنا من العلم أكثر مما أدركنا منه،

وكما قال أبو نواس للنظام:

قل لمن يدعي في العلم فاسفة

علمت شيئا وغابَتْ عنكَ أشياء



﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ  
فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ ﴾

الصبي الذي أُلقي في الجُبِّ،

وانتشلته دلو،

وبيع بثمن بفس،

كان يُعدُّ على مهل ليكون عزيز مصر،

صفحة قاسية في كتاب أيامك،

قد تكون مجرد تمهيد لأجمل

مضحات حياتك، فأحسن الظن بالله!



﴿فَامْسَاكَ بِمَغْرُوفٍ أَوْ تُسْرِخْ بِإِحْسَانٍ﴾

لا تُحزني نهاية العلاقات.  
الحياة كلها ستنتهي يوماً،  
إنما يُحزنتني الطريقة التي تنتهي بها،  
أحبُّ أن أخرج من علاقاتي يعناق،  
كأنما أودعُ عزيزاً في المطار،  
لا أن أخرج منها نازلاً،  
كأنني كنتُ في معركة!

﴿تَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾

عَلَيْهِمَا أَنْصَحُكَ

فَلَسْتُ أَقُولُ لَكَ: **وَإِنَّمَا خَيْرٌ مِنْكَ**

وَإِنَّمَا أَقُولُ لَكَ: **أَنَا أَكْثَرُ خَيْرٍ لَكَ**

﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَقَدْ﴾

لا عليك إن هانتك الوفود المتجهة

إلى الملوك،

المهم أن لا يفوتك الوفد

المتجه إلى ملك الملوك



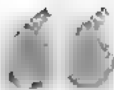
﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ  
فَالْقِيَهُ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ  
وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾

يا الله:

هذا اليقين الذي زرعه في قلب أم موسى،  
وهي تلقيه في النهر،  
وكلها ثقة أنك ستعيده إليها،  
أرزقني مثله!



مَهْمَا بَلَغَ الْإِنْسَانُ  
مِنَ الصَّلَامِ...  
فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ كَارِهِ  
حَتَّى الْأَنْبِيَاءِ لَمْ  
يُحِبَّهُمْ كُلُّ النَّاسِ!



لَوْلَا لَشْرَذِمَةُ قَلِيلُونَ ﴿١٧﴾

هَذَا مَا قَالَهُ فَرِيقَانِ عَنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَمِنْ مَعَهُ

هَكَذَا هُمْ لَمُرَاعِنَةُ دَوَابِّهِمْ

تَقْرِيبُهُمْ أَعْدَادَ قِطْعَانِهِمْ ﴿١٨﴾

## ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ تَدَاوَلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾

من كان يظن أن موسى عليه السلام،

الذي عمل راعيا لمينوات،

سيصبح بعد أموام كريم الله؟

وأن محمدا ﷺ،

الذي كان يرعى لغنم لعدة قريش،

لقاء أجر زهيد،

سيصبح بعد سنوات حاتم النبيين والمرسلين؟

لعل أجمل أيام عمرتك لم يأت بعد.

قليل من الجهد،

وكثير من حسن الظن بالله،

سترى أن القادام أجمل؟

إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى عَبْدِهِ،  
أَنْ يُحِبِّبَهُ إِلَيْ خَلْقِهِ!

قال الله تعالى لموسى عليه السلام:

﴿وَالْقَيْثُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِنِّي﴾

يقول ابن كثير:

ما رأى أحد موسى إلا أحبه!

قال ابن المكندر لأبي حازم:

يلقاني انفاًس فيدعون لي بالخير،

ما أمرهم، وما صنت معهم خيراً

فقال أبو حازم: ذلك فضل الله،

﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾





مَنْ ضَاقَتْ عَلَيْهِ

فَأَلْهَمَهُ اللَّهُ دُعَاءَ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾

فَقَدْ هَيَّأَ لَهُ الْمُتَسَعُّ

﴿ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ﴾

قَالَهَا يُعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْمَ

فَقَدَ ابْنَهُ ...

وَفَقَدَ بَصِيرَتَهُ ...

فَأَعَادَ اللَّهُ إِلَيْهِ ابْنَهُ وَبَصِيرَتَهُ

فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَشْكُو،

فَلْيَكُنِ اللَّهُ وَجْهَتَهُ!



اللهم إني أسألك على أوامرك  
تسليماً كتسليم نوح عليه السلام  
لما قلت له: ﴿أَنْ أَضْنَعُ الْفُلَّ﴾  
لم يسألك: وماذا تفعل سفينة في الصحراء يا رب؟

من لطائف ما قرأت في التفسير  
 قول الإمام القشيري عن قول سيدنا سليمان  
 عن الهمداني:  
 ﴿لَأَعَذِّبَنَّ عَذَابًا شَدِيدًا﴾  
 قال المذاب الشديد،  
 أن يُفَرَّقَ بينه وبين مَنْ يُحِبُّ،  
 فإنَّ الفِرْقَةَ عن الحبيب تجعل المرء  
 كأنما يتنفس من خرم ابنة!



هي يسوم عاشوراء  
وصل موسى عليه السلام إلى الشاطئ  
لم يكن هناك مقر  
البحر أمامه ..  
وفرعون ورءاه ...  
وبنو إسرائيل يقولون له: ﴿ إِنَّا لَمُنْذِرُونَ ﴾  
ولكنه أجابهم إجابة الوثاق بربه  
﴿ كلا، إنَّ معي ربي سيهدين ﴾  
اللهم يقينا بك كيقين موسى،  
وتصديقا بوعدك كتصديق موسى،  
وثقة بك كثقة موسى!

﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ﴾

أجمل صور الحب هو الحبُّ على الطاعة.  
فمن لا يهتم بأخرك لا يهتم بك،  
إذا رأيت صديقاً على معصية، ولم تنصحه  
فاعلم أن حبك له ناقص!  
أخاف جرح مشاعره، ولا تخاف عليه من النار!  
خذ بأيدي أحبابك إلى الجنة،  
من رأته على طاعة، فأنت عليه!  
ومن رأته على معصية،  
فأعدّه إلى الله، ولو حراً من رقبتك!  
قال عمر بن عبد العزيز لصاحبه: إذا رأيتني قد  
ضللت الطريق،  
فخذ بمجامع ثيابي وهزني هزاً عنيفاً،  
وقل لي: يا عمر اتق الله فإنك ستموت!



## ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾

كل هروب يلزمه بالضرورة جبان،  
وحده الهروب إلى الله حرفة الشجعان!  
الهروب إلى الله هروب منتصر، لا هروب مهروم،  
وقرار شخص قوي، لا قرار شخص ضعيف!  
ثمة بطولات من نوع آخر:  
أن تمتنع عن المعصية وأن تدار عليها بطولية!  
وأن تمسود منكسراً بعد كل معصية، بطولية!  
وأن نرفع عنك عطاءك لتقوم لصلاة الفجر، بطولية!  
ليمت البطولة في قوة العضلات فحسب!  
صعد عبد الله بن مسعود يوماً إلى شجرة،  
فضحك الصَّحابة من دقة ساقه،  
فقال لهم النبي ﷺ والذي نفسي بيده،  
لهما ثقل في الميزان من جبل أحدا

﴿ وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ ابِعِثْتَهُمْ فَتَبَّطَهُمْ ﴾

عندما يستخدمك الله لخدمة دينه،  
فاعلم أنه قد اطلع على قلبك فارتضاء،  
إن الإنسان وهو إنسان، يألف أن يستخدم أداة مرسخة  
في عمله، فكيف بالله وهو الله!  
فكل من كان في غير طريق الله،  
فاعلم أن الله قد اطلع على قلبه، فألف منه،  
لا تحسد المشاهير في نوافه الأمور،  
لو أحبهم الله، لاستخدمهم في طاعته،  
ولا تحسد أصحاب المليارات الذين ليس لهم  
أعمال خير،  
ولو أحبهم الله ما استغنى عنهم!





## ﴿ فَلَا تَغُرُّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾

**قصيرة. مهما طالت بنظرك!**

وقد قيل لنوح عليه السلام، لماذا انحدت بيئاً من  
قصبي؟

فقال، هذا بيت الراحل!

عاش أكثر من ألف سنة، وكان يراها قصيرة.

وقال النبي ﷺ: ما لي والدنيا،

ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم رح  
بتركها!

**صغيرة، وإن كبرت في عينيك!**

فلو كانت تساوي عند الله جناح بعوضة،

ما سقى منها كافراً شربة ماء!

**زائلة، وإن حسبتها تبقى!**

قال الخليفة المصور للربيع: ما أطيب الحياة لولا  
الموت.

فقال له الربيع: ما طالت الدنيا إلا بالموت!

فقال له المصور: وكيف ذاك؟

فقال له: لولا الموت ما وصلت الخلافة إليك!

﴿ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾

وَأَرَى الْمُتَجَبِّرَ الْعَالَمِيَّ يَفْتَرُ يَقُوتهُ وَيَسْأَلُ:  
أَلَمَّاذَا لَمْ يَمَاقِبْنِي اللَّهُ؟

أَيُّهَا الْجَاهِلُ: وَأَيُّ عَقُوبَةٍ أَقْسَى مِمَّا أَنْتَ فِيهِ؟  
تَعْرِضُ بِكَ الْجَنَازَةَ فَلَا تَعْتَبِرُ،

وَتَسْمَعُ بِالْآيَةِ تَحَدُّثُ عَنِ الْمَوْتِ، فَلَا تَعْتَظُ،  
وَتَرَى الْمُسْتَكَبِينَ فَلَا يَوْقُ لَكَ قَلْبُهُ،

ثُمَّ مَا زِلْتَ تَسْأَلُ: أَيْنَ الْعِقَابُ؟  
يُ عِقَابِ أَقْسَى مِنْ أَنْ يَكُونَ قَلْبُ الْمَرْءِ مَقْبِرَةً؟  
كَانَ ابْنُ الْقَيِّمِ يَقُولُ:

مَا ضَرَبَ عَبْدٌ بِعَقُوبَةٍ أَكْبَرَ مِنْ قَسْوَةِ الْقَلْبِ!



﴿وَكَايْنٍ مِّنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِنَّا كُمْ﴾

نُظَرُ فِي الْكَائِنَاتِ مِنْ حَوْلِكَ:

لطُيُورٍ، وَالْأَسْمَاكِ، وَالضَّمَادِعِ، وَالْأَفَاعِي، وَالْبُكْتِيرِيَا،  
وَكُلِّ الْحَيَوَانَاتِ،

لَيْسَ لَهَا مَلَأْسٌ فِيهَا جَيُوبٌ،

وَلَا يَوْجَدُ لَهَا حِسَابَاتٌ بَنَكِيَّةٌ،

وَلَا ضَمَانٌ صَحِيٌّ، وَلَا رَاتِبٌ سَيَحْوِجُهُ،

تَنْهَضُ فِي الصَّبَاحِ وَكُلُّهَا ثِقَةٌ بِرَبِّهَا أَنَّهُ سِيرُزُوقُهَا،

فَلَا تَجِدُ حَيَوَانَ يَمُوتُ مِنَ الْجُوعِ!

فَسَلِّمْ أَمْرُكَ لِلَّهِ!

يُرَوِّى أَهْلُ الْأَخْبَارِ أَنَّ سَلِيمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِلنَّمْلَةِ:

كَمْ حَيَّةٌ تَأْكُلِينَ فِي الْعَامِ؟

فَقَالَتْ: حَبَّتَيْنِ

فَوَضَعَهَا فِي صَنْدُوقٍ، وَوَضَعَ مَعَهَا حَبَّتَيْنِ،

وَبَعْدَ سَنَةٍ عَدَّ فَوَجَدَهَا قَدْ أَكَلَتْ حَيَّةً وَاحِدَةً،

فَسَأَلَهَا عَنِ السَّبَبِ،

فَقَالَتْ: عِنْدَمَا كُنْتُ طَالِقَةً، كَانَ أَمْرِي بِيَدِ اللَّهِ،

وَكُنْتُ أَعْرِفُ أَنَّهُ لَنْ يَنْسَانِي،

فَلَمَّا صَارَ أَمْرِي إِلَيْكَ خَشِيتُ أَنْ تَنْسَانِي!

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾

يَا لَهْ مِنْ دُعَاءِ!

مَنْ ذَا قِ لَذَّةِ الْقُرْبِ مِنَ اللَّهِ،

خَفَ مِنْ وَحْشَةِ الْبَعْدِ عَنْهُ!

فَسَلُوا اللَّهَ أَنْ لَا يَحْرِمَكُمْ لَذَّةَ قَرِيبِهِ!

فَكَمْ مِنْ إِنْسَانٍ قَدْ اقْتَرَبَ، ثُمَّ انْتَكَسَ!

وَكَمْ إِنْسَانٌ أَقْبَلَ عَلَى اللَّهِ، ثُمَّ أَدْبَرَ!

هَؤُلَاءِ، حَسَبُوا الثَّبَاتَ أَمْرًا بِأَيْدِيهِمْ،

فَصَدَّهُمُ اللَّهُ عَنْ بَابِهِ.

وَأَنَّ الطَّائِعَ يَخَافُ أَنْ يَتْرَكَ طَاعَتَهُ،

أَكْثَرَ مِمَّا يَخَافُ الْعَاصِيَ مِنْ مَعْصِيَتِهِ!



﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾

غَابُوا عَنْ عْيُونِ النَّاسِ،  
وَلَكِنَّهُمْ عَرَفُوا أَنَّ عَيْنَ اللَّهِ تَرَقَّبُهُمْ،  
فَتَرَكُوا الْحَرَامَ رَغْمَ قُدْرَتِهِمْ عَلَيْهِ،  
وَكَبَتُوا الشَّهَوَاتِ رَغْمَ كُلِّ الْإِغْرَاءَاتِ،  
وَهَجَرُوا الْمَعَاصِيَ رَغْمَ سَهُولَةِ فِعْلِهَا،  
مَا دَفَعُوا الشَّهْوَةَ عَنْ كَرِهٍ لَهَا،  
وَمَا امْتَنَعُوا عَنِ الْمَالِ الْحَرَامِ كَرَاهِيَةً بِالْمَالِ.  
وَإِنَّمَا تَرَكُوهُمَا لِلَّهِ!  
اسْتَشْعَرُوا فَظْرَهُ إِلَيْهِمْ، فَاسْتَحْيَوْا مَتَهُ!  
وَهَذِهِ هِيَ الْحَشْيَةُ بِالْغَيْبِ:  
تَرْكُ الْمَعْصِيَةِ رَغْمَ الْأَمْنِ مِنَ الْفُضْيُحَةِ!

﴿ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصُّرُخَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ  
عَنْ سَاقِيهَا ﴾

ظَلَّتْ بَلْقِيسُ أَنْ اصْطَرَحَ الْمَمْرَدُ مِنْ زَجَاجٍ، مَاءً  
فَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا لِتَعْبُرَهُ.  
إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ كَانَ ثَوْبُهَا طَوِيلًا وَمَسَاتِرًا،  
فَالْتَسَتْ لِبَاسَ الْمَلَكَاتِ مِنْذُ فَجَرِ التَّارِيخِ،  
أَمَّا التَّمَرِّي، وَإِظْهَارُ الْمَمَاتِنِ، فَكَانَ لِلْفَوَانِي  
الْلَوْتِي يَسْعِيْنَ بِهَذَا الْإِيْقَاعِ الرِّجَالُ فِي شِرَاكِ فِتْنَتِهِنَّ.  
انْظُرِي إِلَى لِبَاسِكَ، ثُمَّ صَنِّفِي نَفْسَكَ  
مَعَ الْمَلَكَاتِ كَبَلْقِيسَ، أَمْ مَعَ الْأَحْرِيَاتِ؟



## ﴿وَزَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾

### القلوب تزيغ، والمثبت الله!

فمهما بلغ الإيمان في قلبك، لا تتوقف عن سؤال اثبات.  
وكان أكثر دعاء النبي ﷺ.

اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك!

هَذَا، وهو نبي الأمة، وأقصى الحلق!

لولا تثبيت الله لقلوب عباده، لَلَعِبَتْ بهم الشياطين،

ولما قام أحدٌ منهم يأمر الله.

كان فتية الكهف على دين الحق، ومدينتهم كلها تعبد

الأوثان!

فلما ربط الله على قلوبهم، هَانَ عندهم كل شيء!

وأم موسى عليه السلام من قبل حين أنفثه في اليم،

لولا أن ربط الله على قلوبها، لم تعمل!

فَسَلِ الله دوماً الثبات وأن يربط على قلبك!

﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا خَاسِرًا وَلَا يَنْظِلُمْ رَبُّكَ أَحَدًا﴾

حياتك كتاب ستقرأه يوم القيامة بين يدي الله،  
فحذار أن تكون مؤلفاً سيئاً  
أكتب اليوم ما لا تخجل أن تقرأه هناك غداً  
وما زال كتابك بيدك.  
ومعك محاسبة الاستغفار، لتمحو بها ذنوبك،  
وصفحات بيضاء كثيرة، لتكتب فيها سطوراً مشرقة.  
اجعل لك صفحات من صدقة،  
وفقرات من جبر الخواطر،  
وسطوراً من قيام الليل،  
ولو حتى فاصلة من صيام التطوع؛  
صحيح أنه لن يدخل أحد الجنة بعمله،  
فحتى النبي ﷺ سيدخلها برحمة الله،  
ولكن الأعمال الصالحة مجلبة لرحمته سبحانه!





## ﴿وَهَزِّيْ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾

يَعْلَمُ اللهُ سُبْحَانَهُ أَنَّ رَحْلاً شَدِيداً لَا يَقْوَى عَلَى هَزِّ  
نَخْلَةٍ،

فَمَا بِأَلَاكَ بِأَمْرٍ أَقْدَ وَضَعْتَ مَوْلُوداً لِلتَّوَلَدِ  
وَلَكِنَّهُ، حِينَ قَالَ لَهَا هُزِّي،

فَقَدْ أَرَادَ مِنْهَا أَنْ تَأْخُذَ بِالْأَسْبَابِ،  
وَلْيَعْلَمْنَا أَنَّ الشَّعْيَ مَحَالٌّ بِهِ،

فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَخْلُقُ الدُّودَةَ أَوْ حَبَّةَ الْقَمْحِ  
لِلْعَصْفُورِ، وَلَكِنَّهُ لَا يُلْقِيهَا لَهُ فِي عَشْوِهِ

الَّذِي رُبِّقَ مَرِيماً وَلِدَا دُونَ زَوْجٍ  
كَانَ قَادِرًا أَنْ يُسْقِطَ عَلَيْهَا لِرُطْبِ دُونَ هَرُّ الْجَذَعِ،  
وَلَكِنْ أَرَادَ مِنْهَا أَنْ تَبْذُلَ الْجُهْدَ وَالطَّاقَةَ وَسَعَى،  
ثُمَّ يَعْلَمُ يَقِينًا أَنَّهَا مَجْرَدُ أَسْبَابٍ، لَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ

﴿ مَا لِيَتَّبِعِي مِثَّ قَبْلُ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًا مَنَسِيًا ﴾

تمرُّ بالإنسان لحظات تضيقُ الدُّنيا في عينيه،  
ويشعر أنَّ هذا الكوكب كله جاثم على صدره،  
لا من قلة الإيمان، ولكن من قسوة الحياة؛  
كانت مريم راسخة الإيمان، عميقة الثقة بالله،  
ولكنَّ الخطب جلل، والحدث عظيم،  
ولدَّ دونَ أب ستأتي به إلى قوم قساة القلوب،  
فضاقتُ بها الدنيا؛

تكسرنا الحوادثُ أحياناً،  
وتمرُّ بنا أيامٌ ثقل، نحسبها لن تمضي،  
عش إنسانيتك بضعفها، وهزتها،  
ولكن هي كلا الحاليتين،  
كن مع الله يكن الله معك؛

﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي  
قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾

لو استغنى أحدٌ عن المواساة في ظروفه الصعبة  
لكانت مريم البتول الراسخة في إيمانها أغنى الناس!  
ولكننا نهاية المطاف بشر، ونحتاج من يربّت على  
قلوبنا!

فإذا رأيت إنساناً منطلقاً، فاريت على قلبه،  
وطيب خساطره حتى يُضيء مجسداً  
أبو بكر الصديق خير الناس بعد الأنبياء وأرفعهم  
إيماناً،

ولكن النبي ﷺ في الغار يربّت على قلبه ويقول:  
يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟!

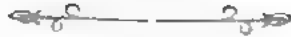
يا أبا بكر، لا تحزن إن الله معنا!  
حتى النبي ﷺ، عندما مات خديجة، وعمه أبو  
طالب، وفقد أشرف من مقاتلين معه.

علم الله حزنه وانكسار قلبه،  
فكانت حادثة الإمراء والمفراج، حيث أخذه الله إلى  
السماء ليُعزّيه،

أحياناً، تضيق الأمور حتى أن الدنيا كلها  
لا تكفي أن تكون عزاء!

﴿ إِنِّي جَزَّيْتُهُمْ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾

الصبرُ في ذات الله عبادة عظيمة،  
صبرٌ عن المعاصي، وصبرٌ على الطاعات،  
أن تكبت شهواتك، وأنت قادر على إنفاذها،  
وأن تقض بصرك والمشهد مفر،  
أن تمتنع عن الرشوة والأمر ميسور لافضيحة فيه،  
كل هذا صبر عن المعاصي وأجره عند الله عظيم؛  
وأن تتصدق وفيك حب المال غريزة،  
وأن تنهض لصلاة الفجر والنوم لذيذ،  
وأن تمشي في بر أبويك وكل حيائك مشاغل،  
هذا أيضاً صبر على الطاعات وأجره عند الله عظيم؛



﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾

بدأ سليمان عليه السلام دعاءه بالتوبة والاستغفار،  
وهذا من فهم الأنبياء وفقههم.

لأنه لا شيء آمن من إجابة الدعاء كالذنوب!  
وربما سأل العبد ربه شيئاً،

فما حال بينه وبين الإجابة إلا ذنب هو مقيم عليه،  
فإذا تأخرت الإجابة فراجع حساباتك،  
وانظر في الذنوب التي أنت غارق فيها، فبسببها  
حبست الإجابة!

ولا تعتقد أنك لم تُعطَ لأنك سألت كثيراً.  
لا شيء كثير على الله!

وهذا سليمان عليه السلام سأل تسخير الجن له  
والرياح ولغة الطير،

فأعطاه الله كل هذا، ولكنه بدأ أولاً بالتوبة قبل السؤال!



المال الذي يجعلك  
متكبراً فقراً..  
والشهادة التي تجعلك  
متكبراً جهلاً..  
والمنصب الذي يجعلك  
متكبراً انحطاطاً !



﴿ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴾

هكذا كان إبراهيم عليه السلام عندهم: مجرد فتى!  
أما عند الله فكان أمة!  
غير لأجله قوانين الكون كلها،  
ألقي هي النار فكانت عليه برداً وسلاماً،  
بلغت زوجته سارة من العمر عتياً وصارت عجوزاً،  
فأصلحها الله له، لتنجب له إسحاق عليه السلام  
وعندما أراد الفرعون أن يستأثر بسارة،  
كشف الله له سبحانه حجب القيسر،  
فكان يرى المشهد ليطلعن قلبه،  
ولا تبحث عن قيمتك في أعين الناس،  
قيمتك الحقيقية هي: من أنت عند الله!



﴿قَضَبُوا جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾

سلاماً للذين لا يأخذون كل شيء على محمل الجد،  
الذين لا يكون عند كل عشرة،  
ولا يقفون عند كل كلمة،  
ولا يعلقون أخطاءهم على شماعة الآخرين،  
الذين يعلمون أنّ الدنيا أسود وأبيض،  
وأن الشر جزء منها كما الخير تماماً،  
الذين يؤمنون أنّها طريق عبور،  
وأن الرضا عن الله أسلم مراكب العبور



﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾

أَمَّا بَعْدُ .

العبادات قبل العادات،

والحرام قبل العيب،

والشرع قبل الواقع،

والسنة قبل المألوف،

والله قبل الناس،

والسلام!



عند العزيز

كان يقدرُ على الخطيئة لكنه قال:

﴿ معاذ الله ﴾

عند الملك

كان يقدر على الانتقام لكنه قال:

﴿ يغفر الله لكم ﴾

قيمتنا أحياناً هي ما لا نفعل!

## وحدتك يا الله

كنت ترى الوجع في قلب يعقوب

حين قال :

﴿ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ﴾

اللهم إن شئنا في القلب كهذا الآن،

فبرحمتك، قل لفرحة يعقوب بيوسف

أن تمر بي!



### تتأخر الإجابة

لأنَّ في قدر الله رُبَّةً لك،

لم تصل إليها بعد!

ولأنَّ في القلب قسوة،

يريدُ الله أن يُلينها لك!

### وتتأخر الإجابة،

لثَمَّةٍ عنك كلُّ عُجْبٍ بطاعتك،

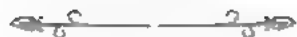
وكلُّ غرورٍ بقلبك،

وكلُّ مقارنةٍ فاسدةٍ حسيَّت فيها أنك أفضل من غيرك،

وكلُّ عاصٍ نظرتُ إليه بعينِ الازدراء بدل الرحمة..

ثمَّ بعد ذلك يستجيب!

ونعوذُ بك،  
 أن تَزِلَّ الأقدامَ بعد ثبوتها؟  
 ونعوذُ بك،  
 أن تأتي ما كنا ننهي لناس عنه؟  
 ونعوذُ بك،  
 أن تملأنا طاعناً بالعُجب؟  
 ونعوذُ بك،  
 أن ننظر للعصاة بعين الاحتقار بدل عين الرحمة؟  
 ونعوذُ بك،  
 من نعمة تُلعيننا؟  
 ونعوذُ بك،  
 من مصيبة تُسخطنا على قضائك؟  
 نعوذُ بك منك،  
 ونهربُ منك إليك؟



عن النبي العظيم موسى عليه السلام:

أمه: ﴿فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي﴾

أمه الثانية: ﴿لَا تَقْتُلُوهُ﴾

أخته: ﴿إِذْ تَفْسِي أُخْتُكَ﴾

زوجت: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ﴾

لا يوجد رجلٌ عظيمٌ ليس للنساء يد فيه!

اللَّهُمَّ يَقِيناً كَيَقِينُ مُوسَى:  
لَمَّا رَأَى الْبَحْرَ أَمَامَهُ،  
وَفِرْعَوْنَ وَرَاءَهُ،

وَقَوْمَهُ يَقُولُونَ لَهُ: ﴿إِنَّا لَمُذْرَكُونَ﴾  
فَقَالَ: ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾

وَيَقِيناً كَيَقِينِ النَّبِيِّ ﷺ  
لَمَّا قَالَ لَهُ نُوَيْكِر: لَوْ نَظَرَ أَحَدُهُمْ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَرَأَى  
هَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: يَا أَبَا يَكْر مَا ظَنَنَّا بِأَنْتَ يَا نَبِيَّ  
اللَّهُ خَالِئُهُمَا؟

﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾

ثَمَّةُ كَلَامٍ يُشَبِّهُ الْعَنَاقَ،

ثَمَّةُ مَفْرُودَاتٍ كَأَنَّهَا حَضُنُ،

تَضِيقُ بِنَا لِدُنْيَا أَحْيَانَا،

فَتَأْتِي كَلِمَةً حَاطِيَةً مِنْ صَدِيقٍ لِنُوسِهَا،

وَيَنْكَسِرُ الْخَاطِرُ أَحْيَانَا،

فَتَأْتِي لِمَسَّةٍ حَاطِيَةٍ مِنْ حَبِيبٍ لَتَجْبِرِهِ،

وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ أَحْيَانَا،

فَيَأْتِي عَنَاقٌ مِنْ قَرِيبٍ لِيَفْرَحَهُ!

مَا نَحْنُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا إِلَّا ضَيُوفٌ،

فَهَؤُنُوَا عَلَى بَعْضِكُمُ الطَّرِيقَ!



﴿وَحُزِنْتُ عَلَيْهِ الْمَرَضُ مِنْ قَبْلِ﴾

جاغ موسى عليه السلام،  
ملاً يكاؤه قصر فرعون  
كلهم أشفقوا عليه،  
ويكنّ الله الذي حرّم عليه المراضع،  
كان الأرحم بهم،  
أراد أن يردّه إلى أمه،  
لو أننا نستشعر رحمة الله في كل حرمان،  
وحكمته في كل منع،  
لهانت علينا الطريق!



﴿ فَأُطْلِفَ حَتَّى إِذَا أَتَى أَهْلَ قَرْيَةٍ سَتَعْمَأْ أَهْلَهَا  
فَأَبُو أَنْ يُضَيِّقُوهُمْ ﴾

**عندما لا يعرفون قيمتك،**

تذكر أن موسى و أخضر عليهما السلام

لم يجد يوماً من يفتح لهما باباً،

ويطعمهما لقمته خبزاً،

يكفيك أن تعرف نفسك وأن جهلوك،

وإن تضع رأسك على وسادتك وضميرك مرتاح، وای

اتهموك!

عندما وصل موسى عليه السلام إلى مدين،  
لم يكن لديه بيت،  
ولا وظيفة،  
ولا زوجة،  
صنع معروفًا وتولّى إلى الظل،  
ورفع يديه إلى السماء وقال:  
﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾  
لم تقرب شمس ذلك اليوم،  
إلا وصار لديه بيت، ووظيفة، وزوجة!  
جربوا هذا الدعاء بعد كل معروف تصنعونه!



كَلِمَا ضَاقَتْ تَذَكُّرُ:

كَيْفَ أُحْجِرَ نُوحٌ بِالسَّفِينَةِ فِي مَوْجِ كَالْجِبَالِ،

وَكَيْفَ سَلِمَ إِبْرَاهِيمُ مِنَ النَّارِ،

وَكَيْفَ نَجَّى يُوسُفُ فِي بَطْنِ الْحُوبِ،

وَكَيْفَ شَقَّ مُوسَى الْيَمْرُوعَ بِعَصَاهُ،

أَجْمَلَ مَا فِي هَرَجِ اللَّهِ

أَنَّهُ يَأْنِي بَعْدَ أَنْ تَقْطَعَ كُلَّ الْأَسْبَابِ،

وَلَا يَبْقَى فِي قَلْبِ الْعَبْدِ إِلَّا اللَّهُ

بدعاء واحد:

اغرق الله الأرض، فتصالحا لعبده نوح!

بدعاء واحد:

أصلح الله لزوجة العاقر لعبده زكريا!

بدعاء واحد:

جعل الله بطن الحوت أمناً على عبده يونس!

بدعاء واحد من إبراهيم:

﴿فَاَجْعَلْ أَقْنَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾

صارت مكة مهوى القلوب!

ثِقْ أَنَّ الدُّعَاءَ يَعِيدُ تَرْتِيبَ مَا تَبْعَثُهُ

اللهم صبراً عسى أن أعرج كصبر هاجر  
تركها إبراهيم عليه السلام وابنتها.

هي واد غير ذي زرع:

لا ماء فيه ولا أنيس،

كل هذه كانت تفاصيل لا تفنيها،

لم تسأل غير سؤال جوهرى واحد

"لله أمرك؟"

فلما قال لها: أجل.

قالت: اذهب. هلن يضيعنا الله!

اللهم قلبنا كهذا،

إيماننا كهذا،

يقيننا كهذا،

صبرا كهذا!

أَحْضَرَ عَرْشَ بَلْقِيسَ  
مِنَ الْيَمَنِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ فِي طَرَفَةِ عَيْنٍ  
ثُمَّ قَالَ: ﴿ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي ﴾

وَذُو الْقَرْنَيْنِ،  
جَاءَ بِزُبُرِ الْحَسِيدِ. وَجَعَلَهُ نَارًا، وَأَفْرَعَهُ قَطْرًا  
وَصَنَعَ رَدْمًا عَظِيمًا سَجَنَ خَلْفَهُ بِأَجُوجَ وَمَآجُوجَ  
ثُمَّ قَالَ: ﴿ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّنْ رَبِّي ﴾

أَدبُ الْإِنْجَازِ رُدُّهُ إِلَى تَوْهِيْقِ اللَّهِ؟



لكل حاجة سألتها الله مستغنياً عن الناس  
لكل أمنية أستودعها ربك،  
لكل دعوة دعوت بها ونسيتها ولم ينسها الله،  
لكل حاجة من فرض الرغبة بها دمت عينك  
لكل هؤلاء قل بيقين،

﴿ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾



أَوَّلُ سِلَاحٍ فَتَاكَ اسْتُحْدِمَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ  
كَانَ الدُّعَاءُ

تَحْدِيداً يَوْمَ رَفَعَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ  
وَقَالَ:

﴿رَبِّ لَا تَذَرُ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً﴾

احذروا أولئك الذين ليس لهم إلا الله ملجأً  
وليس لهم إلا الدعاء سلاحاً



## ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾

لم يكن أحد من قاطني هذا الكوكب يعرف أن لأرض

كانت تلك السلة على موعد مع لسماء !

ولم يكن أحد يتصور أنه من غار مظلم هي مكة ،

سيخرج نورٌ يصي ، هذه الأرض عن آخرها !

كانت الأرض عطشى للسماء ، فجبريل مند ما يريد

على خمسمئة سنة لم ينزل بتعليمات السماء إلى

الأرض ! وكان هذا الكوكب يفص بالضلالة ، بقايا من

اهل لكتاب حرفو كتبهم ، وأكثرية تعبد ما تنحت من

صخر وتأكل ما تعبد من تمر !

ثم حانت اللحظة التي شاء فيها الله

أن يضع حداً لكل هذا !

الأمي في الغار ستنزل عليه " قرأ " ويعلم المتعلمين

والجهلة على حد السواء !

الينيم الذي فقد بويه سيرشد الابه وينظم حياة

الأمهات !

ابراعى الذي يرعى عبداً لقريش لقاء دراهم معدودة

سيكون على عاتقه رعاية البشرية قاطبة !

لزوج الذي يتاجر بمال زوجته سينظم اقتصاد هن

لعالم !

الصادق الأمين سيستلم يده

من هذه الليلة أماته

كان الكهف مظلماً، وهو مستغرق بنأمل منه سماء

شاسعة. وصحراء مترامية، وهي قرارة تنعسه أن هذا

المشهد أجل من أن يكون من صنعة صنم صنعه عبد

حيثي ليعبد سادة قريش

وإذ بجبريل أمامه

دون مقدمات يقول له: اقرأ

فيجيب: ما أنا بقارىء

فيعيد عليه: اقرأ

فبهيته أخرى: ما أنا بقارىء

فيقول له ثالثة: اقرأ

فيقول: ما أنا بقارئ

فيجده بقوة ويقول له:

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾



## فما الدروس التي نستفيدها من الآية ٩

### الدرس الأول :

أول كلمة في القرآن كانت "اقرأ" ولم تكن صلٍّ وصُوم،  
ذاك أن العبادات لا بد أن يسبقها علمٌ وعقيدة !  
الصلاة دون علم وعقيدة قد تُصبح مجرد رياضة،  
والصيام دون علم وعقيدة قد يصبح ريجيماً ليس إلا،  
والطواف والسعي دون علم وعقيدة قد يصبحان  
محاولة لتغسيس الوزن !

لم يقل له جاهد، لأن الجهاد دون علم وعقيدة سيجعل  
لمجاهدين قتلةً وقطاع طرق  
ولم يقل له تاجر لأن التجارة دون علم وعقيدة ستنخرط  
الحلال بالتحرام  
إن الله لا يُعبد عن جهل !  
والكتاب الذي بدأ بـ "اقرأ" لا يرضى لأصحابه أن  
يكونوا جهلاء وأصحاب أهواء !

### الدرس الثاني :

عندما نزل من الغار كان خائفاً يرتجف ويتصب  
عرقاً هي أن سما، لم يذهب إلى عمه حمزة وهو صائد الأسود  
ليحميه، ولم يذهب إلى نبي بكر صديقه المخلص ليخفف عنه،

ولم يذهب إلى دار الندوة وفيها رؤوس حريش  
ليتضامنوا معه.

ذهب إلى خديجة لأنها كانت عمه وصديقه وقبيلته  
كلها. كانت تترك مالها كله بين يديه لأنها كانت تعرف  
نه من العيب أن يجتمع زوج وزوجته في فراش  
ويفرقهما دينار!

كانت أبوه الذي لم يعرفه،  
وأمه التي فقدتها صغيراً،  
وجده الذي كملته،  
وأخوته الذين لم يأتوا إلى الدنيا!

وكان معها وفيها،  
لم يتزوج امرأة في حياتها: ذلك أن بعض النعماء  
يجملن الأخريات محرد أرقام ويفقدن تصبح كل  
لنساء سواء!

تغار منها عائشة وهي في فبرها وتقول له: أما زلت  
تذكرها، وقد أبدلك الله خيراً منها  
فيقول له: والله ما أبدلني الله خيراً من خديجة!  
يا للوفاء!

لا يجبر خاجر حي على حساب ميت أضاء به أصابعه  
العشر شمعا!

وعندما تجاوز الستين من العمر رأى صاحباتها وقد  
شارفن على الثمانين،

فقطع رداءه ليحسن عليه، ونظر لمن حوله يزيل عنهم  
الدهشة،

يقول: هؤلاء صويحبات خديجة!



﴿ وَشَرُّهُ بِشْمِنٍ يُخْسِي دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ  
وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِقِينَ ﴾

نَبَا يَبَاعُ فِيهَا يَوْسُفُ،  
وَيُكْذَبُ فِيهَا نُوحُ،  
وَيُرْمَى فِيهَا لِلنَّارِ إِبْرَاهِيمُ،  
وَيُنْتَهَمُ فِيهَا بِاللَّسْعِ جُورُ مُوسَى،  
وَيُسَدَّمُ فِيهَا مَهْرُ لَبْقَى رَأْسُ زَكَرِيَّا،  
وَيُرْحَمُ فِيهَا بِالْحِجَارَةِ مُحَمَّدٌ <sup>صَلَّى</sup>،  
أَتَنْتَظِرُ مِنْهَا بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ تَرْتِى عَلَى كَتَمِكَ <sup>بِت</sup>؟  
**هَذَا الْكُوكَبُ حَاقٍ!**

ومن رحمته سبحانه أنه جعله دار زواعة لا دار حصادة!  
فأزرع فيها ما يسرك غداً أن يكون محصولك، ودعك  
مفهم!

فالعفيفة عند الناس، مُعْقَدَةٌ!  
والملتزم بدينه عند الناس، صِتْرَمَتٌ!  
والمجاهد في سبيل الله عند الناس، ارهابي!  
والمصدق عند الناس، مبيد لعاله!  
والمشأء إلى لمساعد عند الناس ليس لديه مكان  
آخر يذهب إليه! والقدريء النهم عند الناس، "دقة"  
قديمة "رغم أننا أمة" اقرا!  
أن تكون "أب" وتنزل من عندهم، أفضل، لف مرة من  
أن يكون "هم" وتنزل من عين نفسك!

﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴾

الباطلُ يكسبُ معركة، ولكن الحق يكسبُ الحرب!

كسبُ القمروُدُ معركة، ولكن إبراهيم عليه السلام

كسبَ الحرب!

كسبُ فرعونُ معركة، ولكن موسى عليه السلام كسبَ

الحرب!

وخرج محمد ﷺ من مكة متسللاً تحت جنح الظلام،

فعاد إليها في صبح النهار ودخلها من أبوابها الأربعة!

لا يفتنك الباطل لأنه كسب معركة،

ولا تقمّد ثقتك بالحق لأنه لم يكسب الحرب بعد!

يملي الله للباطل لأنه يريد أن يُعزّيه،

ويؤخر انتصار الحق لأنه يريد أن ينفّيه!

إذا بلغ الباطل ذروته فهذا يعني أن انتصار الحق

اقترّب!

سنة الله في الكون أنه ما بلغ شيءُ تمامه، إلا وُجدَ أرحمة

القهقري!

فتذكر أن أشدَّ ساعات الليل ظُلمة، هي تلك التي تسبق

الفجر بقليل!



﴿قَتَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي  
كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾

الأمر لم يتعلق يوماً بالشموع والمصابيح والقناديل.

الأمر كان يوماً متعلقاً بالقنوب !

ما ضرتك لو أضلنا هذا العالم أضواءه كلها هي

وجهك ما دام النور هي قلبك متوهجاً،

وما نفعك نور الشمس والقمر معا ولو وقفنا فوق كتفك

ما دام قلبك دامعاً، انظر إلى يونس عليه السلام وقد

اجتمعت عليه ظلمات ثلاث:

ظلمة الليل،

وظلمة البحر،

وظلمة بطن الحوت !

فهل ضره ذلك في شيء؟

كل ظلمة ليست في القلب أمرها يسير !

وانظر إليه: نبي مرسل، عصمه الله عن الكذب

والفاحشة والرياء، ولما غضب كان غضبه لله !

ثم لما صار في بطن الحوت يتنادي ربه:

لا إله إلا أنت سبحانك إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ

من الظالمين، وهو المعصوم !

ما أحسن أدب يونس مع ربه،



وما أجمل مناجاته،  
يتقرب إلى الله بتقصير يراه في نفسه، ولا يمحز  
بطاعة أداما،  
ونحن إذا صلي أحدا ركعتين، فكأنما ضمن الجنة، لا  
يمنعه عنها إلا أن يموت!  
تقعدوا قلوبكم، ماذا ينفع كوكب مضى عن آخره  
لقلب مظلم!  
وتذكروا! هو ما:  
كل عتمة خارج القلب أمرها يسير!

﴿قَلَمًا وَصَعْتُهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَصَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ  
بِمَا وَصَعْتُ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَخِطْتُهَا مَرْيَمَ  
وَإِنِّي أَعَيْنُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾

الكلام على لسان امرأة عمران!

والأنثى الوليدة محور الآية هي مريم عليها السلام،  
والقصة باختصار حتى تفهم المراد من هذه التأملة،  
هي أن حنة امرأة عمران قد تأخرت في الإنجاب بعد  
مضي سنوات على زواجها

فندرت إن وهبها الله ولداً أو تفرغه للعبادة وخدمة  
بيت المقدس، ولكن لمولود كان أنثى، ولم يكن  
من عادتهم في ذلك الزمان أن تنقطع المرأة للعبادة  
في الأديرة،

ولكنهم رحبوا بمريم لمكانة عمران بينهم  
واختصموا كل يريد أن يرعاها، ولجأوا للفرعة،  
وكانت الفرعة أن يلموا أقلامهم في الماء، فمن جاء  
قلمه واقفاً، نال شرف رعاية مريم،  
وأعادوا الفرعة ثلاث مرات، وهي كل مرة يأتي قلم  
ركريا عليه السلام واقفاً، فكفلها!

وذكرى هو زوج خالة مريم،  
والذي يعنيها من الآية ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ﴾

شاع الاعتقاد عند الناس أن هذه الآية انتقاص من  
الإناث، وتمضيل الذكور عليهن مطلقاً،  
وهذا مفهوم خاطئ،

ولو كانت الآية: وليس الأنثى كالذكر،  
لأريد به تفضيل الذكور على الإناث عموماً.

أما الآية وليس الذكر كالأنثى.

والكاف للتشبيه، والأنثى مشبه به

فقد أراد النص التمييز لا الانتقاص!

هذا يعني أن المرأة أفصل من الرجال في مجالات،

وأن الرجال أفضل من النساء في مجالات أخرى!

والاعتقاد أن الرجل أفصل من المرأة في كل وجه فهم

ذكوريّ للآية،

وتمصّب لنوع لا مبرر له!

وحين يخبرنا الله أن المرأة مخلوق مغاير للرجل،

في بنائها الجسمي وتركيبها النفسي،

فإنه يريد أن يميّزها.

والتمييز رفعة لا انتقاص!

الدين يطالبون بمساواة المرأة بالرجل مطلقاً:

إنما يهينون المرأة من حيث يعلمون أو لا يعلمون!

إنهم بهذا المفهوم يحطون من قيمة المرأة، إذ يجعلون

ميّزها الوحيد عن الرجل هي أنها وعاء إنجاب!

لا شك أن الناس سواسية في الكرامة الإنسانية.

وهذا ما دأب الإسلام بثبته ويدافع عنه،  
ولكن المرأة هي المرأة، والرجل هو الرجل،  
لكل منهما تركيبة النفسية،  
ووظيفته في الحياة التي تتوافق مع تركيبه هذا،  
وحين أسقط الإسلام الجهاد عن المرأة مثلاً،  
لم يكن هذا لإعتناء على سبيل نقص.  
بقدر ما هو شهادة تكريم !  
أليس لأن الإسلام يعتبر أن المرأة مخلوق رقيق.  
لها دور في الحياة يتناسب مع هذه الرقة التي حباها  
الله إياها،  
إن أضي جملة تُقال لامرأة: أنت كالرجال !  
تثور المرأة لها ويجن جنونها،  
ليس لأن الرجل مخلوق مخيف،  
بل لأن المرأة تعرف أن أجمل ما فيها أنوثتها !  
أجل ليس الذكر كالأنثى  
أنتن بهذا الخطأ تكبر من ولا تتقصن !  
ننتن أجمل من الرجال في الشكر،  
ورق منهم هي العاطفة.  
وأصدق في الحب،  
وأصبر على القيام بأعباء الأسرة،  
وأقدر على تحمل التبعات الناجمة عنه  
وإني لأقسم أن الرجال لو كان بإمكانهم الحمل  
والانجاب، لن ينحب الرجل أكثر من بطن واحد !  
ولكنها المرأة العظيمة القديرة،

ترى الموت وهي تضع وليداً،  
 ثم ما تلبث غريزة الأمومة أن تستعزها لتعيد الكرة،  
 وتمنح هذا الكوكب الحياة،  
 نحن مخلوقون من التراب: نعمل. ونكد. ونشقى. ونفتح!  
 أنتن مخلوقات من ضلع قرب القلب!  
 لهذا، تخفقن بالحب،  
 لهذا أنتن تعشقن بجنون،  
 تجد المرأة في رجل واحد دنياها،  
 بينما أحدها لا تكفيه تساء الأرض!  
 لا يوافقوهن في قولهم أنكن يجب أن تتساوين بالرجال،  
 أنتن تستحقن أن تتمهرن!  
 أن تيقين هذا الجانب الرقيق والمذب والجميل  
 للبشرية، هذا الكوكب لا يحتاج مزيداً من الرجال.  
 يكفيه رجاله، يكفيه محاربوه، ومصارعوه، وتجاره،  
 وعماله، ومهندسوه  
 ولكنه ينقصه الحب  
 والحب هو أساس قوتكن،  
 فلا تسمحن لهن أن يسرقوا أنوثتكن باسم المساواة.  
 ابقين نساءً وافخرن!  
 ابقين هذا المخلوق الرقيق،  
 وقاتلن بفسادة كالرجال دفاعاً عن أنوثتكن!



﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا اَنْ رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهٖ كَذٰلِكَ  
لِنَصْرِفَ عَنْهٗ السُّوْءَ وَالْفَحْشَآءَ اِنَّهٗ مِنْ عِنْدِنَا الْمُخْلَصِيْنَ﴾

هذه وحدة من أكثر الآيات التي كانت مثار جدل بين  
المفسرين،

إن لم تكن الأكثر

فقد احتملوا فيها اختلاف النقيض للنقيض،

وإن تفقوا جميعا على أن يوسف لم يقع بالفاحشة،

فقد اختلفوا في تفسير الهم،

ولما لبية العظمى من المفسرين تقول أن يوسف قد

هم فعلا ليواقعها، فلما رأى برهان ربه «تدع»

وبرهان ربه على رأي الفريقين كان صورة يعقوب عليه

السلام،

فماذا تقول اللفظة في هذا الشأن؟

أولاً:

الهم لغة كما في لسان العرب هو حديث النفس بالشيء.

أي قبل أن يصير فعلاً،

وهذا معنى معروف عند العرب،

ونتكى على الحديث الشريف لتفسير الهم،

قال عليه الصلاة والسلام:

من هم بحسنة ولم يفعلها كتبت له حسنة

أي من حدثته نفسه بحسنة وعزم على فعلها،  
 إذا، هي هي منزلة الفكرة لافي منزلة الفعل !  
 وبما أن الفعل مراودة، أي مفاعلة، فهذا يلزمه طرفان:  
 لأول يُراود والثاني إما أن يُدعن أو يرفض !  
 هم زليخة بيوسف خرج من دائرة الفكرة لدائرة الفعل  
 وهذا يثبت سياق الآية.

والآيات التي بعدها وصولا لقولها:

﴿أَنَا رَأَوْتُهُ عَنْ نَفْسِي﴾

فماذا عن هم يوسف؟

لو قال الله: ولقد همّت به وهم بها،

وانتهى عند هذا الحد الكلام لتساويا في الفعل،

ولكنه قال: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهٖ﴾

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهٖ﴾،

وهنا مربط الفرس !

إن في الآية تقديماً وتأخيراً غفل عنه الكثيرون.

وتقدير الكلام: ولقد همّت به ولولا أن رأى برهان ربه

لهم بها !

لولا: حـرف امتناع لوحد !

كقولك: لولا غلاء المعر لا شترت الثوب

فإذا، أنا لم اشتر

**ويوسف لم يهم**

قد يسأل سائل:

لماذا لم يقل الله: ولقد همت به ولم يهم بها؟

أليس هذا أوضح للمعنى وأيسر؟

الجواب: لا !

لأنه لو قال: ولقد همت به ولم يهم بها،

لنفى الفعل ولم ينفي الباعث عليه !

فلربما لم يهم لأنه ارتبك،

أو لأنه خاف أن يبطش به زوجها، أو تقاجأ

بن سياق الآية جاء لانصاف يوسف لا لإثارة الشك

حوله !

**ثانياً:**

نرجع لمسياق الآية:

قال الله ﴿كَذَلِكَ نُنْصِرُ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾

وانظر لدقة التعبير :

**ننصرف عنه السوء،**

ولم يقل لنصرفه عن السوء !

فلو أن يوسف عليه السلام همّ فعلاً لبواشعها، لكان الله

صرفه عن السوء، لأنه في معرض الوقوع به !

ولكنه لما قال ننصرف عنه السوء،

فإن السوء هو الذي تبع يوسف لا العكس !



### ثالثاً:

يختم الله الآية بوصف يوسف عليه السلام قائلاً:  
﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾، يفتح اللام.  
والمرق بين المُخلصين والمُخلصين مهم جد لنفهم  
ما حدث.

المُخلص: هو من أخلص عبادته لله فلم يشرك به  
شيئاً. فهو اسم فاعل، ونحته يندرج عامة المؤمنين  
الذين غلبت طاعاتهم على معاصيهم ولكن يمكن أن  
تقع المعصية منهم.  
المُخلص: هو من اختاره الله سبحانه فهو اسم مفعول.  
وهو بالضرورة معصوم وهذا شأن الأنبياء جميعاً.  
وحين وصف الله موسى عليه السلام قال عنه ما قال  
عن يوسف:

"إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصاً وَكَانَ رَسُولاً نَبِيًّا"

يفتح اللام، أي مُحاراً ومصطفى من قبل الله. أي نبياً  
ومعصوماً.

أي لا يتسوى مع زليخة في فعل واحد!

ونعتم بسياق الآيات

﴿وَلَقَدْ زَاوَيْنَاهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاِسْتَعْصِمَ﴾

كيف تهم به، ويهم بها، ويكون مستعصماً؟

لوصح رأي أغلب المفسرين بأن الهم حدث فعلاً.

وتوقف بعد رؤية البرهان،

لما كان يوسف عليه السلام مستعصماً



﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا  
حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾

حتى الجنة التي جعلها الله دار قرار لم تخل من  
امتحان !

فما بالك بالأرض التي جعلها الله دار عبور ؟  
ولكن. انظر لرحمته سبحانه حين حرّم شجرة واحدة،  
أباح شجر الجنة كلها !

ولكنها وقليفة الشيطان، أن يزين للناس الحرام !  
مع أنّ الشجرة لم تكن تختلف عن باقي الأشجار،  
ولكنه يلعب على وتر الفلاس الحمقاس،  
فأغرى آدم بالخلود !  
هذا فعله في الجنة،

وقد ضمن الله لآدم أن لا يجوع فيها ولا يمرض.  
ولا يظمأ فيها ولا يضحى،

فما بالك بالدنيا التي جعلها الله دار أسباب وسعي ؟  
داركد وشقاء ؟

دارمرض وعجز ؟  
ولكنها القصة القديمة ذاتها،  
سعة الحلال، وضيق الحرام !

وإبليس يضيق في عيون الناس لحلال، ويوسع لهم  
الحرام!

حين حُرِّمَ الله الربا، أباح الكثير من وسائل الكسب،  
ولكن إبليس لا يألُو جهداً لإقناعنا أنه الوسيلة الأسرع  
للرزق، رغم أنه محقّق البركة مهما كثر!

حين حُرِّمَ الخمر، أباح الكثير من المشروبات، ولكن  
دأب إبليس أن يزيئها للناس!

حين حُرِّمَ لحم الخنزير، أباح الكثير من اللحوم، ولكن  
هذه وظيفة إبليس أن يوهم الناس أن الحرام أُلْذِي!

حين حُرِّمَ الزنا، أباح الزواج، ولكن إبليس لا بكلّ يزيئه  
في عيون الناس!

إن كنا قد خرجنا من لجنة مجبرين، فهذا نحن هي  
محطة الدنيا، وفيها قطاران: قطار الجنة، وقطار

النار!

فاختاروا قطاركم!



﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ  
مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾

أكثر ما يركض الإنسان لأجله؛ رزقه  
ولن ينال من الرزق إلا ما كتب له، مهما ركض؛  
وأكثر ما يهرب منه؛ أجله  
وليس يعيش أكثر مما كتب له مهما هرب؛  
فيل أن تحل ضيوفاً على الحياة،  
كتب الرزق، وكتب الأجل؛  
ولن ينال الضيف من الرزق، إلا ما شاء صاحب  
الضيافة أن يعطيه؛  
ولن ينال من العمر، إلا ما شاء سيد الحياة أن يعطيه؛  
فاستريحوا، ثم دققو :  
حبة القمح تُزرع في بلد،  
وتصير طحيناً وخبزاً في بلد،  
ثم تُحمل إليك رعيماً لأنه قبل أن تكون كتب أنه لك؛  
هكذا، بكل ساطعة يعمل آلاف الناس لإيصال لقمة لك؛  
وتعمل أنت وآلاف الناس ساعي يريد لإيصال لقمة  
غيرك؛ لأنها منذ البداية كانت لك؛  
ولو هرب الإنسان من رزقه كما يهرب من أجله.  
لتبعه رزقه كما يتبعه أجله؛

## ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ﴾

وهي لغة العرب كلُّ ما دبَّ على الأرض فهو دابة.  
كما كلُّ ما علا وأطل فهو مماء.  
وأرزاق النَّاس محتتمين ليست إلا صفحة في كتاب  
الرزق الكبير الذي خطه للرازق!  
فإذا كنا سبعة مليارات إنسان،  
فنحن الأمة لأقل عدداً بين سكان هذا الكوكب،  
مقابل كلِّ إنسان يقطن هذه الأرض ما يزيد على ألف  
نملة!

## ﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾

إلا للحصر،  
كل الذين يسوقون رزقاً لغيرهم ليسوا إلا أسبانياً.  
يسقونه بالكم والكيف الذي كتبه الرازق  
الحقيقي، الملائكة التي تسوق المطر، لا تُنزل قطرة  
هي حقول لم يأذن سبحانه أن تنزل فيه!  
والصدقة التي تضعها في يد فقير، هي رزقه وضعها  
الله في جيبك!  
كل شيء مكتوب بدقة، فاستريحوا!



﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾

هذا هو المعيار عند الله، لا عند الناس!  
 نوح كذبوه،  
 وإبراهيم وموه هي النار ليعرقوه،  
 وموسى تأمروا به ليقتلوه،  
 وصالح اتبعوه،  
 وشعيب عذبوه،  
 ويحيى قتلوه،  
 وزكريا بالمنشار تشروه،  
 وعيسى أرادوا أن يصلبوه  
 ومحمد ﷺ كل هؤلاء؛  
 بمكة كذبوه،  
 وبالشام رجموه،  
 وعند بيته كمنوا ليقتلوه.  
 وفي طريق هجرته للاحقوه،  
 وفي أحد ويدر قاتلوه،  
 وفي العتدق حاصروه،  
 ويقطعة لحم مسمومة،  
 فماذا تنتظر أنت من الناس؟

الناس إذا تصدّقت قالوا: يُرائي!

وإذا أمسكت قالوا: بخيل!

وإذا تصحّت قالوا: يُعييب!

وإذا سكّ قالوا: جبان!

وإذا تاجررت قالوا: طالب مال!

وإذا جلست في بيتك قالوا: عاطل!

إذا استقدت قالوا: يشع عيوبنا!

وإذا صمت قالوا: أمرنا لا يعنیه!

هؤلاء هم الناس،

فيهم الثمين وأكثرهم غث،

هكن أنت!

صحيح أن الذي يراقب الناس يموت هما،

ولكن الذي يسمح لهم أن يُسيروا حياته يموت هما

وكمداً وحزناً،

رضاهم غاية لا تُدرِك!

وتذكّر دوماً ﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾

التَّوَّابُونَ: صيغة مبالغة.  
وصيغ المبالغة أسماء تُشقق من لأفعال للدلالة على  
معنى اسم الفاعل بقصد المبالغة.  
وهنا تزيد كثرة لقيام بالأمر،  
أي أنهم يكثرُونَ من التَّوْبَةِ!  
ولمَّا كانوا كثيري التَّوْبَةِ اقتضى بالضرورة أن يكونوا  
كثيري الخطأ!

واظُر لرحمته في دقة تعبيره سبحانه،  
ثم يقل يقبل التَّوَّابِينَ،  
ولم يقل يغفر للتَّوَّابِينَ،  
ولم يقل يعفو عن التَّوَّابِينَ،  
وإنما قال يحبُّ التَّوَّابِينَ!  
أجل يحبُّ أولئك الذين يخطئون، ثم يأتونه مستعمرين!  
يحبُّ أولئك الذين يعصونه نهاراً ويمودون إليه ليلاً!  
ولم يخبرنا سبحانه أنه يحبُّ التَّوَّابِينَ لستمأدى هي  
المعصية!

ولكنه لا يريد للشيطان أن يفهم بيننا وبينه،  
يريد أن يخبرنا أن الذنوب مهما عظم، فرحمته أعظم!  
وأن الرُّدَّ مهما تكرر، فلا يملّ سبحانه من العفو حتى  
نملّ من العودة إليه!





تَخْتَلِطُ بِأَكْمَلِكِ بِالنَّاسِ  
أُتْرِكُ شَيْئًا مِنْكَ لِنَفْسِكَ

﴿ فَلَا تُغْنِيَنَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغْنُيَنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾

سَلَّ بُوْحًا عَنْ أَلْفِ سَنَةٍ قَضَاهَا فِي الْأَرْضِ،  
يُخْبِرُكَ أَنَّ الْعَمَرَ قَصِيرٌ مَهْمَا طَالَ !  
سَلَّ سُلَيْمَانَ عَنْ الْفَنَى وَقَدْ مَلَكَ الْأَرْضَ مِنْ مَشْرِقِهَا  
إِلَى مَغْرِبِهَا. بَجَتْهَا وَأَنْشَبَهَا وَدَوَّابُهَا :  
يُخْبِرُكَ أَنَّ الْإِنْسَانَ فَتِيرٌ مَهْمَا مَلَكَ !  
سَلَّ دَاوُدَ عَنْ الْقُوَّةِ وَقَدْ أَلَيْنَ لَهُ الْحَدِيدَ،  
يُخْبِرُكَ أَنَّ الْإِنْسَانَ ضَعِيفٌ مَهْمَا قَوِيَ !  
سَلَّ فِرْعَوْنَ عَنِ الْبَحْرِ إِذَا أُطْبِقَ عَلَيْهِ،  
يُخْبِرُكَ أَنَّ طَعْمَ الْمَلْحِ أَزَالِ حَلَاوَةَ الْمَلِكِ !  
سَلَّ النَّمْرُودَ عَنْ بَعُوضَةٍ فِي رَأْسِهِ،  
يُخْبِرُكَ أَنَّ ذُلَّ النَّعَالِ لَمْ يَتْرِكْ لَهُ عِزًّا !  
سَلَّ الطُّغَاةَ وَالْمَعْصَاةَ عَلَى حَدِّ سَوَاءٍ عَنْ أُبْلَغِ دَرَسٍ  
خَرَجُوا بِهِ مِنَ الْحَيَاةِ،  
يُخْبِرُكَ جَمْعًا : لَا تَرَكُنْ إِلَى الدُّنْيَا !

﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ...﴾

العلم الصحيح يستحيل أن

يتعارض مع الدين الصحيح

لقد غير العلم رأيه أكثر من مرة في قضية وحدة، ولكن هذا الكتاب بين أيدينا على حاله منذ ألف وأربعمئة سنة،

بل إن العلم كلما تقدم وتطور، أكد صدق هذا الكتاب وعظمته،

رغم أنه غنى عن علم والعلماء ليكون صادقا  
مساكين أولئك الذين لا يؤمنون إلا بما تراه حواسهم؛  
مساكين أكثر أولئك الذين يؤمنون ببيبيات لعلم،  
ويكفرون ببيبيات الدين

مساكين يكفرون بالله لأنهم لا يرونه، ويؤمنون بالأشعة  
فوق البنفسجية وهم لا يرونها

مساكين يكفرون بالملائكة لأنها لا ترى، ويؤمنون

بالأشعة تحت الحمراء وهي أيضا لا ترى

مساكين ينكرون سرعة البراق، ويؤمنون بسرعة  
الضوء!

وينسون أنه عندما كان علمهم يقول أن الأرض تنفث  
على قرن ثور،

كان قرأتنا يقول ﴿كُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾

ينسبون أنه عندما كان عليهم يقول نَّ الأرض مسطحة  
 كان قرآننا يقول ﴿وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ ذَحَاةً﴾<sup>(١)</sup>  
 وعندما كان عليهم مليئاً بالخزعبلات والسحر، كان  
 قرآننا يحدثنا عن الأجنة ومواقع النجوم!  
 الدين الذي جعل العلم فريضة، يستحيل أن يقف بوجه  
 العلم، لأنه وقتذاك سيفسف ضد نفسه!  
 ولكنه ضد ذلك العلم الذي لا يعترف بسلطان الله على  
 الكون. العلم الأحق. الذي يرى أن الكون خلق نفسه  
 لمجرد أنه لا يملك تفسيراً آخر غير تفسير العاجزين  
 هذا!

أمطع حقة في عُمر العلم هي تلك التي ستلم فيها  
 المسلمون ربه. ذلك أنه اقترن بالإيمان،  
 فالعلم بلا إيمان، لا يلبث أن يصير الحاداً!  
 والإيمان بلا علم، لا يلبث أن يصير خرافة!



﴿ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْلُوبُهُ  
عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَتَعْلَمُونَ ﴾

### هذه المرأة إحدى أعظم المؤمنات في التاريخ،

رغم أنها كانت زوجة أحد أشهر الكفار في التاريخ !

وهي إحدى أربع نساء بلغن الكمال !

فقد قال سيد الناس ﷺ:

" كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا أربع،

مريم ابنة عمران، وآسيا زوجة فرعون، وخديجة بنت

خويلد، وفاطمة بنت محمد "

الطريف في الآية، أن فيها إحدى أشهر فرستين في

التاريخ !

الطريف أكثر أن الفراستين كانتا نساء!

والطريف الأكثر أن الفراستين كانتا في شخص واحد

هو موسى عليه السلام؛

أما القراصة الأولى فقول آسيا ﴿ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا... ﴾ .

فكان موسى عليه السلام انتبه، ونبيها، الذي آمنت به

وأوصلها إلى الجنة، وليس بعد الجنة منفعة !

أما القراصة الثانية فكانت لامة الرجل الصالح، حين

قالت له ابنته بعد أن سقى لها ولأختها ما شيتهم

﴿ يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾

فكان موسى؛ نعم القوي. ونعم الأمين!

قدر الله تأخذ لا محالة،

انظروا إلى فرعون،

دبح آلاف لأطفال قبل ميلاد موسى؛ لأن المعبدين

أخبروه أن تأويل رؤياه ولد لبني إسرائيل يكون زوال

ملكه على يديه!

ولكنه في المقابل رقى قلب آسيا على موسى عليه

السلام،

فتُربى في بيت فرعون!

دبح آلاف الأطمال خوفاً من مجيء الطفل صاحب

الرؤيا.

ولمّا جاء صاحب الرؤى رباه في بيته!

ما كتبه الله واقع لا محالة.

وما قدره كائن لا شك.

ولكنه سبحانه جمع هذه الدنيا دار سياب.

نأخذ بالأسباب لأنها واقعة في قدره.

ولكننا لا نجعل بقيتنا على السبب بل عى من سببها!

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾

استيقظ بنو إسرائيل يوماً على جثة ملقاة أمام أحد البيوت، فتنازعوا بينهم أمره، ونراشقوا ألثهم هذا يلقيها على ذاك، وذاك يلقيها على ذلك، حتى قرروا أخيراً أن يحتكموا إلى موسى عليه السلام، فأمرهم أن يذبحوا بقرة، ويضربوا الميت بلسانها، فيمثل حياً، ويُخبر عن قاتله ويموت مجدداً

### تأمل نص الآية:

بقرة، مكذبة نكرة،  
أي أن آية بقرة تضي بالغرض،  
ولكن اليهود ككل زمار ومكان، يعبدون المال.  
فجاؤوا إلى موسى عليه السلام يسألونه أن يبين لهم بعض صفاتها،

فقال لهم: لا هي كبيرة ولا هي صغيرة،  
وترك لهم الباب واسعاً، ولكنه أضيق قليلاً مما كان،  
ولكنهم أبوا إلا أن يصيّدوه على أنفسهم أكثر،  
فسألوه عن لونها،

فأخبرهم أنها صفراء فاقع لونها،  
فضائق الباب أكثر،

بقرة صفراء: لا كبيرة ولا صغيرة!

فأرادوا أن يضيقوه أكثر،  
ورجعوا يسألون..  
فأخبرهم أنها نقرة معززة مكرمة عند أصحابها، لا  
تستعمل في الحراثة ولا السقاية  
فبحثوا عن نقرة صفراء لا صغيرة ولا كبيرة معززة  
مكرمة،  
فما وجدوها إلا عند من أبى أن يبيعها إلا بملء جلدما  
يذهباً لما علم حاجتهم إليها،  
فدفعوا الذهب وفارقوه كمن تفارق روحه جسمه،  
وذهبوها وصربوا الميت بلسانها،  
فقدم من هورم وأخبر أن قاتله هو ابن أخيه وواريته  
الوحيد الذي استعجل موته ليتعم بالثروة من بعده!

#### الدرس الأول :

إن الله عندما يسكت عن أشياء فإنه يسكت عنها رحمة  
بالناس لا عن تسليان!  
ما أراد الله أن يُلقي به عسى نَجو محدد فحصل فيه،  
وما شاء أن يتركه عاماً قاله مجملاً،  
**فَلَا تَوْسَعُوا صَبْغًا،**  
**وَلَا تُضَيِّقُوا وَاسْجَا!**





### السُّرْس الثَّانِي :

هؤلاء هم اليهود أكثر الناس أنبياء وأقلهم إيماناً،  
يعبر بهم موسى عليه السلام البحر، وقبل أن تجف  
أقد، مهم يقولون له لما رأوا قومًا يعبدون أصنامهم:  
﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾

يرفع الله لهم الجبل طلة فيجحدون،  
يمطر عليهم ذهباً فيكفرون،  
يرسل لهم طلوت، فيتحلفون عنه إلا قليلاً.  
يبعث لهم الأنبياء تنرا: كفريقاً يقتلون، وفريقاً يكذبون؛

### الدرس الثالث :

ما كان لك سيأتيك رغم ضعفك،  
وما لم يكن لك لن تقاله بقوتك؛  
فكر، وحضن، وقتل لأجل المال، ثم حرم منه؛  
وذهب لمال لمن لم يكن ينتظره لأن الله من البدء قد  
كتبه له؛

### الدرس الرابع :

نجمع المال من حلال وحرام، ثم نتركه خلفنا للورثة  
يتمتعون به ونحاسب عليه وحدنا؛  
المال عجلة الحياة، ولكنه ليس الحياة كلها؛

وإن الله قد قسم كل شيء بالعدل بين الناس،  
وقلبي من الناس من أوتي كل شيء!  
تجد غنيا، حرمة المرض أنواع الطعام على كثرة ماله،  
وتجد فقيرا يشتهي ولا يجد،

الأول أعطي المال، والثاني أعطي الصحة.

تجد شخصا حرم الأولاد وأعطي العلم،

وآخر أعطي الأولاد وحُرم منهم!

**هكذا هي الدنيا لا تكتمل!**

ولكننا نحن البشر بما نفقد لا بما نجد،

نظن أحدا أن أهم ما في الدنيا هو ما حُرم منه.

وتنسى أنها ليست إلا دار زراعة وأن الله لن يسألنا عما

حرمنا.

دل سيسألنا ماذا فعلنا بما أعطانا.

سر السعادة أن نرعى:

الخوف من الحاجة حاجة أخرى.

لو نظرنا لما في أيدينا، لما أسعفنا الوقت أن نتأمل

مما حرمنا منه!

ولكن نحن هكذا ننسى ما في أيدينا، وننظر لما هو في

أيدي الناس!

**ثيوت أسرار**

فما أدراك من له مال طائل كيف يعيش؟

وما أدراك أن من له زوجة جميلة أنه سعيد؟

السعادة ليست بما نملك بل بفن إدارته والتمتع فيه!

﴿ فَأَوْحَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى  
قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّا أَنْتَ الْأَعْلَى ﴾

**الشجاعة ليست أن لا تخاف،**

**بل أن تعرف كيف تكتم مخاوفك !**

علينا أن لا ننسى أن الناس مهما بلغوا من رتبة فإنهم  
نهاية المطاف بشر

هذا موسى عليه السلام ، يخاف!

وهذا نوح عليه السلام يتقطع قلبه على ابنه الكافر  
ويقول: **إِنَّهُ مِنْ أَهْلِي !**

وهذا إبراهيم عليه السلام يخبر ابنه برؤياه: **يَا بُنَيَّ !**  
وحيث حاءته الملائكة بهيئة بشر ، ووجد أيديهم لا  
تمتد إلى طعامه ، خاف ، فطمأنهم

وحيث أخبروه أنهم في طريقهم لخسف قرى الظالمين  
تذكر أقرباءهم ورحمه فقال **إِنَّ فِيهَا لَوْطًا**

وهذا يعقوب عليه السلام لا يطيق فراق ابنه الأثير  
يوسف ويقول: **"إِنِّي لَيَحْزَنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ"**

وهذا محمد صلى الله عليه وسلم يبكي يوم موت ابنه ويقول: **بَنِ انْقَلَبَ**  
ليحزن وإن العن لندمع وأنا عسى فراقك يا إبراهيم

لمحزونون ولكننا لا نقول: لا ما برضني الله

الناس مهما بلغوا من الرتبة وفاقوا البشر العاديين  
فلأنهم صبروا وجاهدوا أنفسهم

ولكن هذا لا يعني أنهم ليسوا بشرًا مثلنا  
يحبون ويكرهون ويقضون ويدرؤون  
ولهم شهوات وعندهم أحلام  
المتسول يفرح بالكلمة الحلوة كما يفرح بالدرهم لأنه  
إنسان والعاملة المنزلية تفرح بالمعاملة الحلوة لأنها  
إنسان ولأن الطيبة في القرية وطن  
وعامل النظافة يفرح بالابتسامة لأنه إنسان ولأن  
الابتسامة في وجه إنسان قد نصنع يومًا جميلًا رغم كل  
شيء، الثامن: كريمهم ووضعهم.  
غنيهم وفقيرهم،  
ذكرهم وأنثاهم،  
مهما اختلفت أدوارهم في الحياة هم بشرًا  
الصالحون ليسوا مجرد مصاحف تمشي على الأرض،  
والعمال في المصانع ليسوا آلات من لحم ودم.  
نحن أيها الناس فاس!

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾

هذا هو شأن لمجتمعات الفاسدة منذ آلاف السنين،

ذالِم تعد للمصلحين خطيئة تُعيرهم بها،

وعيرتهم بأحمل ما هيهم !

وحريمة آل لوط، أنهم أناس يتطهرون !

**بعض الأشياء لا تتغير على هذا الكوكب**

بختقُ الفاسدون من الصالحين لأنهم يذكرونهم

بنقصهم. لهذا تريد الرانية لو كل النساء زنين فالحقة

صفعة شديدة على وجهها !

ويريد السارق لو كل الرجال سرعوا، فالأمانة سوط

حار على ظهره !

ويريد المرتشي لو كل الموظفين ارتشوا، هالحلال هو

الذي يجعل اللقمة مرة في فمه !

ويريد العاق لو كل الأبناء عفا، فابير درس قاس يتلقاه !

لأنهم عاجرون عن الارباع، يريدون للآخرين أن

ينحدروا !

إنهم يتهامسون بالسوء عنكم، وفي قرارة أنفسهم

يشتمون لو أنهم مثلكم !

لا تصدقوهم حين يقولون عن المحبة مُعقدة،

وعن الملتزم ملتزمة،

وعن الصدوق جاهل بالأنكيت،  
وعن العفيف جبان،  
وعن الأمين لا يعرف من أن تُؤكل الكتف،  
في قرارة أنفسهم يحترمونكم مهما أظهروا العكس،  
فلا تتغيروا!



## ﴿أنا أكثر منك مالاً﴾

إن الله يعطي لدنيا لمن أحب من عياده ولمن كرهه،  
ولكنه لا يعطي الدين إلا لمن يحب،

أعطى الدنيا كلها لسيماان عليه السلام وذي القرنين  
وأعطاهما لقارون والنمرود،

ولو كانت معياراً للتمايز ما ساوى فيها سيئاً وطاهية!

أفتر الناس هم أولئك الدين لا يملكون إلا المال!

أولئك يظنون أن كل شيء قابل للشراء بما في ذلك

الجنة ويمتقدون أنهم أغنى آخرة لأنهم أغنى دنيا!

المال عجلة الحياة وليس الحياة،

وسيلة وليس غاية.

إذا وُضِعَ نعت القدمين رفع،

وإذا وُضِعَ فوق الرأس خُضِعَ.

وامتلاك المال لا يقدر في الدين!

على العكس. نعم المال الحلال في يد لعبد الصالح.

المهم أن يكون المال في يدك لا في قلبك!

المال يجعل الحياة أكثر رهاية.

ولكن أجمل ما في الحياة هي أشياء لا تُشترى!

المال يشتري دواءً ولا يشتري صحة.

يشترى سريراً ولا يشتري نوماً،

يشتري ديوان غزل ولا يشتري حُباً،  
 يشتري غانية ولا يشتري جيبة،  
 يشتري كتاب نكات ولا يشتري ضحكة من القلب،  
 يشتري روضة أطفال ولا يشتري طفلاً،  
 يشتري مكتبة ولا يشتري ثقافة،  
 يشتري سيارة ولا يشتري أقداً،  
 يشتري نظارة ولا يشتري أعيناً،  
 يشتري متزلفين ولا يشتري أصدقاء،  
 الفقير والعني، لا يأكل أحدهما أكثر من سعة بطنه،  
 ولا يلبس أكثر من ثوب واحد وإن اختلفت الماركة،  
 ولا ينتعل أكثر من حذاء واحد وإن اختلفت النوعية،  
 اجمعوا المال ليخدمكم لا لتخدموه!  
 اجعلوه عبداً لا سبيلاً،  
 تابعاً لا معبوداً،  
 ثم سيروا حياتكم به، ولا تجعلوه حياتكم!  
 وتذكروا دوماً لديكم الكثير مما لا يشتري!





## ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾

كلبٌ تخلد في القرآن سبب لرفقة الصالحة !  
فاختر أصدقاءك بعناية كما تختار ملائمتك .  
الصاحب سا حبيب !  
توشك أن تُغيّر إنساناً للأفضل فيغيرك للأسوأ ،  
وإن لم يغيّرك ،  
يكفك من شرّه أن يغيّر به !  
قائمراً عند الناس على دين حيله ،  
كانت العرب تبحث عن لرفيق قبل الطريق !  
وتبحث عن الجار قبل الدار !  
الصديق الصالح أحد متع الحياة ،  
بئر عميق تسود فيه سرك ،  
وعقل ناضج تشرّكه في أمرك ،  
وكتف حنون تستند عليه من همّك ،  
ويد حانية تزيل عن كاهلك ما ألمّك ،  
كلب تخلد لأنه مشى في رفقة صالحة ،  
وحوت تخلد بحمر يونس عليه السلام .  
وملّة تخلد بابتسامة سليمان عليه السلام .  
ومهدد تخلد لأنه كان ساعي بريد ،  
وبعن أولى بهذا !

## ﴿وَعَاشِرُوهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾

المعروف كلمة قصفاصة يدخل فيها كل شيء حسن !  
 ابتسامتك في وجهها ، معروف  
 وكلمة حلوّة ، معروف  
 وضعة إلى صدرك ، معروف  
 وهدية بمناسبة أو دونها ، معروف  
 أن تسمع شكواها ، معروف  
 وأن تهتم لصحتها ، معروف  
 وأن لا تمنعها عن أهلها ، معروف  
 أن تحترم رأيها ، معروف  
 وأن تحترم هو يأتها ، معروف  
 وأن تعينها في شؤون بيتها وأولادها ، معروف  
 وأن تعينها في شؤون دينها ، معروف  
 أن تحتل عشراتها ، معروف  
 وأن تعطف عليها ، معروف  
 أن تراعيها في مرضها ، معروف  
 وأن تحتل قلب مزاجها ، معروف  
 ونظر لدقة التعبير: "وعاشروهم بالمعروف"  
 ولم يقل بالعرف ،  
 ذلك أن المجتمعات في الغالب لها معايير عوجاء .



**تقتل حنان الرجل باسم قوة الشخصية،**

تجعله جافاً باسم المحافظة على الرجولة.

تجعله ظلفاً وقاسياً باسم فلان يحكم بيته.

بعض تصرفاتنا ليست إلا أمراضاً نفسية تمتعت ردمها

من الزمن فصارت عادات!

**الرجولة ليست أن تفعل ما يفعله الناس**

**وإنما أن تفعل الصواب!**

لا يكن أحدكم إمعة إذا صلح الناس صلح، وإذا فسد

الناس ففسد!

كان سيد الرجال <sup>صلى الله عليه وسلم</sup> في خدمة أهله،

وكان أكثر الناس تبسماً في بيته،

وكان لا يتحرج أن يذكر أنه يحب امرأته وقد قال عن

خديجة تلك امرأة رزقت حبها

وكن من أحر وصاياهم. اسوهوا بالنعاء خيراً!

## ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾

خَلَقَ اللَّهُ نَعَالَى آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ طِينٍ،  
وَخَلَقَ حَوَاءَ مِنْ صَلْعِ آدَمَ،  
فَإِذَا كَانَتْ حَوَاءُ جُزْءًا مِنْ دَمٍ، فَإِنَّ آدَمَ هُوَ حَوَاءُ كُلِّهَا!  
مَهْمَا أَحَبَّ الرَّجُلُ الْمَرْأَةَ فَإِنَّهُ يَجْعَلُهَا جُزْءًا مِنْ حَيَاتِهِ  
كَمَا كَانَتْ مِنْذُ الْبِدَايَةِ جُزْءًا مِنْ كَيَانِهِ،  
فَمَا الْمَرْأَةُ، إِذَا أَحَبَّتِ الرَّجُلَ فَإِنَّهَا تَجْعَلُهُ حَيَاتُهَا كُلِّهَا  
كَمَا كَانَ مِنْذُ الْبِدَايَةِ كَيَانُهَا كُلَّهُ!  
**النِّسَاءُ أَصْلَقُ فِي الْحُبِّ مِنَ الرِّجَالِ.**  
وهذا ليس يذم في الرجال،  
وليس مدحاً في النساء!  
إنها الفطرة التي فطر الله عليها الناس لتستمر  
لخليقة!  
إن أصل الخلق لا فكاك منه في الطبع!  
فقد خلق الله آدم من تراب،  
والتراب هو الرحم الذي تولد منه الأشجار والنباتات،  
لهذا يجد الرجل قيمته في العمل والإنتاج!  
ولكنه سبحانه خلق حواء من صلح في آدم ناحية القلب،  
لهذا فإن علاقة المرأة بالإنتاج علاقة بعيدة نوعاً ما،  
وهي عندما تُنتج فإنها لا تحقق ذاتها وإنما تحقق  
بعضاً من ذاتها،  
وإنما تسعد بما تُنتج لأنها تُشبع بعض التراب التي هي  
جزء الجزء منه.



ولكنها لا تجد نفسها إلا حين تعجب.  
فقد قُتِلَتْ من قطعة قُرب القلب،  
المرأة تجد نفسها زوجة حنون،  
وأما رؤوم،  
لهذا نجد اللهفة للأمومة منذ النساء أشد من اللهفة  
للأبوة عند الرجال،  
لأن الأبوة حلقة من حلقات الانتاح الكثيرة في حياة ارجس،  
أما الأمومة فهي أرقى وظائف الحب،  
وبونها نشعر المرأة بنقص عاطفي  
لأن هذا يحدث خللاً في وظيفتها الكبرى التي خلقت لها،  
لهذا لا مانع عند الرجل أن تساعد المرأة في أعباء  
الحياة المادية،  
ما دامت لا تأخذ وظيفته،  
ولكنه يتعرج أن يكون عالة على امرأة،  
ذلك أنه كائن قُرَائي،  
أما المرأة فلا تتعرج أن تكون مسؤولة من الرجل.  
يقدم لها احتياجاتها المادية،  
إنها لا تشعر بالعجز والنقص أبداً،  
ذلك أنها كائن قلبي،  
على المرأة أن تُدَر ما يفتجه الرجل مهما كان صعباً،  
لأنها بهذا تساعد على تحقيق تراثيته،  
وعلى الرجل أن يُرخي للمرأة عنان قلبها ويدلها لتطلق  
أنوثتها. لأنه بهذا يساعد على تحقيق قلبيتها.

﴿يَلْكَ الذَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي  
الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَآلِغَايَةِ الْمُتَّقِينَ﴾

صعد إلى السماء السابعة ثم عاد إلى الأرض.

يخسف نعله، ويحلب شاته،

ويأكل مع المساكين.

هكذا هم الكبار كلما ارتفعوا تواضعوا !

يخرج مع أصعابه فيشربوا أن يذبحوا شاة،

يقول الأول: أنا أذبحها.

يقول الثاني: أنا أسلخها.

يقول الثالث: أنا أقطعها.

يقول هو: وأنا أجمع الحطب !

هكذا هم الكبار يرفضون أن يتميزوا !

بتصرفه مال كثير :-

يحثوه على الناس حثوا وينسى نفسه.

فيموت ودرعه مرهونة عند يهودي،

هكذا هم الكبار يأبون إلا أن يتعففوا !

يوثم الناس، ويمجد فيحبو الحسن بن علي بن أبي

طالب، ويتصعد على ظهره،

فلا يرفع رأسه حتى ينزل حفيده،

ويصلي مرة أخرى. فيسمع بكاء طفل عند صف

النساء،



فيحفف صلاته ويختصر قرءته،  
كي لا يشغل قلب أم على طاقها،  
هكذا هم الكبار وجدوا ليرحموا!  
ينهر أصحابه عن الوقوف له تعظيماً،  
ويدخ عليهم مرّة، وبدون شعور منهم يقفون،  
فيتمعض، ويرى حسان انزعاجه ياد على وجهه،  
فنشده:

وقوضى للعزیز علی فرض  
وترک القرض ما هو مستقیم

عجبت لمن له عقل وفهم  
يرى هذا الجمال ولا يقوم

فيبتسم ويرضى  
هكذا هم الكبار إذا اعتذر إليهم قبلوا!



لا بأس أن يعمل  
المرء لدنياه  
ولكن دون أن  
ينسى آخرته  
ولا بأس أن يجعل  
بيته جميلاً  
ولكن دون أن  
ينسى قبره!



﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ  
وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

يُسَكِّنُ قُلُوبَ مُحِبِّيه،  
وَيَهْدِي أَشْيُو قَهْمٍ لِلْقِيَامِ،  
يَطَيِّبُ خُوَاطِرَهُمْ،  
يُسَلِّمُهُمْ بِمَا يَخَافُ مِنْهُ النَّاسُ عَادَةً !  
فَكَأَنَّهُ يَقُولُ لِأَحْيَايِهِ: لَا يَفْصِلُكُمْ عَنِّي إِلَّا الْمَوْتُ !  
هَذَا لَا يَعْْنِيَنَّ الْإِنْسَانَ لَنْ يَكُونَ مُؤْمِنًا إِلَّا إِذَا أَحَبَّ أَنْ  
يَمُوتَ !

حُبُّ الْحَيَاةِ غَرِيزَةٌ بَشَرِيَّةٌ،  
وَالْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ فِي هَذَا سَوَاءٌ...  
وَقَدْ سَأَلَتْ عَائِشَةُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:  
" كَرِهُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُمْ "  
فَقَالَتْ لَهُ: وَأَيُّهَا يَحِبُّ الْمَوْتَ؟  
فَقَالَ لَهَا: لَيْسَ هَذَا الْمَقْصُودُ يَا عَائِشَةُ!  
وَأَخْبَرَهَا أَنَّ الْإِنْسَانَ يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ أَوِ النَّارِ قَبْلَ  
خُرُوجِ الرُّوحِ. وَأَنَّ الْكَافِرَ إِذَا رَأَى مَقْعَدَهُ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ،  
فَكَانَ سَبْعَانَهُ أَشَدَّ كَرَاهَا لِلْقَائَةِ!

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ  
وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً﴾

أعظم شاهد،

في أعظم قضية،

في أعظم محكمة،

عند أعظم قاض،

إنها قضية الوجود الكبرى: إفراد الله تعالى  
بالبُيُوتِ والالوهية؛

فلأجلها خلق السماوات والأرض،

وأرسل الرُّسُلَ،

وأَنزَلَ الْكُتُبَ،

ونصب الموازين،

وأعدَّ الحساب،

هي علة وجود الجن والإنس،

وإن شئت فاقرأ قوله.

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾

ولكنه من رحمته جعل الحياة في طاعته عبادة،

فتحصيل الرزق بالحلال عبادة،

واللقمة يرفعها الرجل إلى فم امرأته صدقة،

والإحسان إلى الجار عبادة،

وإعاطة الأذى من الطريق صدقة،  
 وبشامة في وجه إنسان صدقة،  
 بل وفي بضع أحدكم صدقة،  
 فاستغربوا وسألوه ﷺ: أتأتي أحدنا شهوته وله فيها أجر؟  
 فقال لهم ﷺ: أرأيتم إن وضعها في غير مكانها أفلا  
 يكون عليه وزر؟  
 فكذلك إن وضعها في موضعها فله أجر 1

أعظم شاهد:

يقول ﷺ لابن مسعود: اقرأ عليّ!  
 فيقول له: يا رسول الله، أقرأك عليك وعليك أنزل؟  
 فقال ﷺ: إني أحب أن أسمعه من غيري!  
 فقرأ ابن مسعود في سورة التمسيد  
 فلما وصل إلى هذه الآية فاضت عيناه بالدموع،  
 وقال ﷺ لابن مسعود: حسبك أي كفي!  
 سيشهد كل رسول هي المحكمة الكبرى أنه قد بلغ،  
 وستأتي الشهادة الكبرى من الكبير أخلاقاً ومقاماً،  
 سيقول: اللهم قد بلغوا،  
 ما أعظمه!

هذا خطاب تشريف، فلا يرى فيه لدماثة أخلاقه ﷺ  
 إلا خطاب تكليف، فيستشعر عظم الأمر ويبكي!



أعظم محكمة:

هناك تنطق الجلود بما أحسّت،  
وتتكلم الأبصار بما رأت،  
وتشهد الأرجل بما مشت،  
وتعترف الأيدي بما بطشت،  
هناك تؤدى الحقوق.

لا يوجد محام يقلب الحق باطلاً،  
ولا قضية تغلق لعدم كفاية الأدلة،  
هناك كل يأخذ ما له ويدفع ما عليه،  
حيث لا درهم ولا دينار.

ولن تنقض المحكمة حتى تقتصر الشاة الملحاه من  
الشاة القرناء !

حتى الشاة التي امتنقت بقرنيها على شاة ليس لها  
قرون ستقف في الفصاص: بطحة بنطحة !

أعظم قاض:

جبار السماوات والأرض ينبري للحساب.  
وما منكم من أحد إلا سيكلمه الله ليس بينه وبينه  
ترجمان.

سيقول له ﴿ أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ  
عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾

فلتكتب ما يسرنا غدا أن نقرأه بين يديه !

﴿وَمَا يَغْلَمْ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾

بِالْمَاءِ انتقم نوح !  
وبالنار أثبت صدق إبراهيم !  
وبالحوت حفظ يونس !  
وبالضفادع والقمل والدم دافع عن موسى !  
وبالمنكيات خبا محمداً ﷺ !  
بالبحر أفرق فرعون !  
وبالبعوضة أذلَّ القمروء !  
وبالجرذ إن هبَّ مبدأريب !  
وبالأرض حشرة لا تكاد ترى بالعين المجردة نقص  
وثيقة قريش !  
على أبواب مكة عصى قيل الحبشة !  
وعندما لم يكن لأهل البيت جيش .  
كان لرب البيت جيشه !  
خلوا السبيل بين أبرهة وبيت العتيق ،  
ووقف عبد المطلب بعيداً ، سيفه في غمده ، وأشهر  
الدعاء !  
"اللهم إنَّ العيد يمنعُ رحله فامنحْ رجالك !  
لا يقلبنَّ صلبهم ومحالهم عدواً محالاً !  
إن كنت تاركهم وقيلتنا ، فأمر ما بدا لك  
فاستجاب وأرسل أباييله



سبحانه يُحْنِدُ الْمَاءَ وَالنَّارَ وَالْبِمُوضِ وَالْجِرَادِ وَالْقَمَلِ  
وَالضَّمَادِ وَالْحَيْتَانِ وَالْأَرْضَاتِ وَالْجِرْدَانِ  
وَالطُّيُورِ الْأَبَائِيلِ  
**هَذَا الْكَوْنُ جَيْشُهُ**  
**وَكُلٌّ مِنْ فِيهِ جُنْدُهُ**  
يُفْرَعُ مَلْبُولٌ لِحَرْبٍ عَلَى أَعْدَائِهِ بِأَضْعَفِ مَخْلُوقَاتِهِ  
وَأَمْرُهُ فِي الْجَبَابِرَةِ كَنْ هَيْكُونِ !

﴿ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ وَلَقَدْ وَادَّيْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ  
فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ  
الصَّاغِرِينَ ﴾

امرأتان من مصر تربى في قصر كل منهما نبي:  
الأولى زليخة امرأة العزيز: تربى في قصرها يوسف  
عليه السلام.

والثانية آسيا امرأة فرعون: تربى في قصرها موسى  
عليه السلام.

اجتمعتا في الجاه والسلطان والعز،

ونضرتا في التقوى والإيمان والبر،

كانت زليخة زوجة عزيز مصر: الرجل الثاني في

الدولة حسب النظام السياسي في دولة

الفرعونية، وكانت آسيا امرأة الفرعون: الرجل الأول

في الدولة حسب النظام السياسي لمصر القديمة،

والإله حسب النظام الديني.

أي أن آسيا كانت أعظم جاها وسلطانا من زليخة وإن

عاشتا في زمنين مختلفين

فيوسف كان قبل موسى بمئات السنين. وكذلك كانت

زليخة قبل آسيا؟

كلاهما ربيت نبياً في قصرها منذ نعومة أظفاره حتى

استوى رجلاً موبياً



زليخة ربت يوسف صبياً قبل أن يبلغ العاشرة، بعد أن  
اشتراه العزيز، وأهداها إياه

واسيا ربت موسى منذ اليوم الأول لولادته، بعد أن  
أوحى الله إلى أمه أن ترضعه، وتضعه في صندوق  
وتلقيه هي النهر!

زليخة غلبت شهوتها على أمومتها، فأرادت يوسف كما  
تريد المرأة زوجها،

واسيا غلبت أمومتها على ما عداها. وأرادت موسى كما  
تريد الأمهات الأولاد،

بحيطة بالرعاية والاهتمام وتحميه بأحضان اليون  
وتضمه بحنان القلب!

زليخة ألقت يوسف في السجن.

واسيا منعت عن موسى الذبح!

زليخة أرادت الدنيا،

واسيا أرادت الآخرة!

زليخة لم تؤمن بيوسف إلا بعد أن بلغت أردل العمر.

فصارت عجوراً ذليلة بعد أن فقدت زوجها ثم فقدت

عزها ومائلها ثم بصرها!

آسيا آمنت بموسى منذ اليوم الأول الذي صعد فيه

إلى الله!

زليخة كانت شهوتها هي التي فرقت بينها وبين زوجها،

واسيا كان إيمانها هو الذي فرق بينها وبين زوجها!



زليخة مات زوجها وهو عليها غضبان،  
وآسيا ماتت وربها عليها راضٍ

كانت تؤمن أن العز الحقيقي هو عز الآخرة لهذا كانت  
تسمو ﴿رَبِّ إِلَهِي عِنْدَكَ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ﴾  
علما عرف فرعون بإيمانها، صلبها  
وكانت وهي تدع الحياة وروحها تفارق جسدها، تثبسم  
لأنها كانت ترى بيتها في الجنة  
المال لا يقصد الإنسان،  
والفقر لا يصلحه

وليس مهماً مع من يعيش الإنسان، بل كيف؟  
فالمرأة التي كان زوجها يقول:  
﴿أَنَا رَبِّكُمْ الْأَعْلَى﴾  
كانت تسجد صباح مساء وتقول: سبحان ربي الأعلى  
وليس مهماً أين يعيش الإنسان، بل كيف؟  
كانت آسيا تعيش في قصر وقلبها معلق ببيت في الجنة

﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾

إن الله قَسَمَ الجمال بين الناس، كما قَسَمَ الأرزاق  
فَمَنْ أَغْنَاهُ، فَمَنْ فَضَّلَ مِنْهُ  
وَمَنْ أَفْقَرَهُ، فَمَنْ قَفَرَ مِنْهُ سُبْحَانَهُ  
وَلَكِنْ كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِقَدَرٍ  
وكذلك الجمال،

فَمَنْ خَلَقَهُ جَمِيلًا، فَإِنَّمَا هُوَ نَقْطَةٌ فِي بَحْرِ ابْدَاعِهِ  
سُبْحَانَهُ، وَمَنْ خَنَقَهُ أَقْلٌ جَمَالًا، فَلَيْسَ عَنْ عَجْزٍ  
مِنْهُ، وَلَكِنْ كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِقَدَرٍ  
هَذَا عَرَفَ حَمَالِكُ، فَتَذَكَّرَ أَنَّ شَخْصًا عَاشَ يَوْمًا عَلَى  
هَذِهِ الْأَرْضِ كَانَ حَمِيلًا حَذَّ الْخِيَالِ، جَمِيلًا إِلَى دَرَجَةٍ  
أَنْ تَقْطَعَ النِّسْوَةُ أَيْدِيَهُنَّ وَهُنَّ يَفْطُرْنَ إِلَيْهِ  
لَوْ أَنَّ رَلِيحَةَ وَحْدَهَا قَطَعَتْ يَدَهَا، لَكَانَتْ أَمْرَةً فَتُنَّتْ  
بِرَجُلٍ

**وَلِطَالَمَا كَانَ الْجَمَالُ نَسِيبًا**

فَمَا تَعْدَهُ حَمِيلًا، قَدْ يَرَاكَ غَيْرُهُ عَادِيًا،  
فَمَا أَنْ تَقْطَعَ كُلَّ النِّسَاءِ الْعَاصِرَاتِ أَيْدِيَهُنَّ وَهُنَّ لَا  
يَشْعُرْنَ، فَهَذَا يَعْنِي أَنَّ جَمَالَ يَوْسُفَ كَانَ مُتَقَمًّا عَلَيْهِ  
كَانَ بَهِيًّا حَذَّ الْقَتْنَةِ،  
جَمِيلًا حَذَّ الذَّهْوِ،

نَيْفًا حَتَّى يُشَكَّ فِي دَمِيئِهِ ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾

ثم ماذا فعل هذا الجميل البهي؟  
كان بهياً بأخلاقه قبل وجهه،  
جميلاً بقلبه قبل مظهره،  
وهو في السجن. يطلبون تأويل رؤياهم لأنه من  
المحسنيين!

وهو عزيز مصر يطلبون صدقة لأنه من المحسنين!  
ثم تفترة الأماكن. ولم تبدله المناصب!  
يطوف على الحقول ويشرف على الزراعة،  
يبني أهراءات القمح، ليحفظ محاصيل الناس،  
ويحمل على عاتقه إطعام أمة في سبع عجاف!  
وهذا هو الجمال الحقيقي!

ومن رحمته سبحانه عندما فاوت في الخمال بين  
الناس، فاوت في الأذواق.

فكل جمال مهما قل هناك من يستحسنه!  
ثمة رجل يرى امرأة ما، أحمل نساء الأرض وهي في  
نظر غيره عادية!

وثمّة رجل مكتمل الرجولة والجمال، في عين امرأة ما  
وهو في نظر غيرها عادي!  
وثمّة شيء اسمه الألفة،  
سبحانه لولا اختلاف الأدواق لفسدت السلع!

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾

الناس توجعهم الكلمة القاسية  
كما توجعهم ضربة السيف !  
وتُسعدهم الكلمة العذبة كما تُسعدهم الهدية !  
كان ينزل عليه الوحي ،  
وجاءه جبريل ونُحده من مكة إلى القدس ليصلي  
بالأنبياء أماما ويستلم قيادة لبشرية ،  
ثم صعد إلى انسماء سماء سماء ،  
بلغ سدرة المنتهى ،  
ووطأ مكاناً لم يطأه نبي مرسل ولا ملك مُقرب من قبل !  
أعطاه الله نهر الكوثر ،  
وقرن اسمه باسمه  
وكانت تؤذيه الكلمة القبيحة ،  
ويضيق صدره بها ،  
فمن باب أولى أن يتأذى من هم دونه وتضيق صدورهم ،  
كل كلام له شقين  
١ - مضمون  
٢ . أسلوب  
فإن كان المضمون جميلاً ، فلا تقسه بأسلوب قبيح !  
وتذكر ، أن الذي قال أنا ربكم الأعلى .  
أرسل الله نبياً ليقول له قولاً لئلا

وإن كان المضمون قبيحاً فلا يهتمع عليك قبيحان:  
 قبيح المضمون وقبيح الأسلوب !  
 تذوق كلامك قبل أن تنطقه،  
 فإن وجسته حلوً هي فمك. سيكون هكذا حين يقع في  
 آذان الناس !  
 وإن كان مرّاً. سيكون هكذا في آذان الناس،  
 الحقيقة أغس ما تكون عن اللفظ البنيء.  
 فلا يمكن تحقيق العايات الجميلة بأساليب قبيحة،  
 يجب أن تليق الأساليب بالغايات،  
 لا يوجد حق أكبر من دعوة نبي،  
 ومع ذلك قال له ربه :

﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَیْظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ  
وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾

**الكفرُ الصريحُ أفضلُ من الإيمان الكاذب،  
وهي كلُّ شرٍّ!**

ولو لم يكن اتفاق كبريائه من الكفر لصريح، ما  
جعل الله المنافقين في أكثر مراتب النار عذاباً  
وهذا من لبداهة بمكان ليُفهم من سياق الآيات،  
لم يعرف العربُ النفاق هي هكة، أو بتعبير أدق لم  
يعرّسوه،

وهذا عائد برأيي لسببين:

الأول أن قريشاً كانت خالصة في عروبتها، أفصح  
العرب لساناً، وأحسنهم مجازاً، وأرفعهم نسباً  
والعنصر العربي لخالص عرف رزايا كثيرة ولكنه لم  
يعرف الجبن!

وقد ظهر النفاق في المدينة لتعدد الأعراق والأديان  
فيها، واختلاف الولاءات السياسية.

فقد كانت المدينة مجتمعا مفتوحا للسجادات  
وللصراعات على أشدها لاثبات الذات، وتأكيدها  
فكان الأوس والحزرج واليهود وأنصارية على نفاق  
صيق، مما حدا بتلك القوى أن تمارس السياسة ردحا  
من الزمن. وما السياسة إلا فن من فنون النفاق!

هذا الأمر لم تعرفه قريش، فقد نعمت باستقرار سياسي وتوزيع مناصب القبيلة على مستحقيها فانصهرت القبيلة في بوتقة واحدة ولم تنافر! والسبب الثاني:

يرأى أنه لا يقل أهمية عن الأول. وهو أن الإسلام في مكة كان ضعيفاً، ومضطهداً، وكانت السلطة السياسية والغلبة لمادية لدين قريش. بينما في المدينة انقلبت الأدوار، فقد صار الإسلام هو السلطة والقوى التي لم تتخرب فيه هذه الأقليّة!

لهذا كانت أمام أحد أمرين: إما أن تظهر كفرها ونسبح ضد تيار المجتمع، وإما أن تمثل الإيمان تمثيلاً وهي في الحقيقة تبطن الكفر،

وهذا الذي كان! أو أن تقف ضد سلطة فتخسر ما تحاول بضافها أن تحافظ عليه.

فالإنسان لا يظهر عكس ما يُبطن إلا في حالة الخوف،

ولاًها الأصل أن تُعبّر المواقف عن المعتقدات!



﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ  
وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا  
أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾

من خلال ما قرأت وسمعت واستنتجت أرى أن تاريخ  
البشرية يتلخص في عشر مراحل :

١- مرحلة العدم: وتساوى فيها البشرية مع كل ما في  
الكون، حيث كان الله ولا شيء سواه!

٢- مرحلة خلق آدم عليه السلام: حيث أمر الله  
مبجائه الطين الميت أن يكون بشرا سويا فكان!

٣- مرحلة خلق حواء: حيث خلق الله تعالى حواء من  
ضلع آدم عليه السلام لتسكن إليه، ويسكن إليها، هذه  
الطريقة المليئة بالحكمة والتي أبطل بها استمرار  
البشرية!

٤- مرحلة الذر: وهي المرحلة التي تتحدث عنها  
الآية، حيث مسح الله على ظهر آدم عليه السلام،  
فأخرج منه كل البشر الكائنين إلى يوم القيامة  
على هيئة النمر الصغير، وأشهدهم على وحدانيته  
وربوبيته فشهدوا، ثم أعادهم إلى صلبه ليولد بعد ذلك  
كل إنسان على ميقات لا يخلفه!



٥- مرحلة الحياة هي الجنة: حيث من الله على الزوجين باسحابة في الجنة، وأباح لهما شجرها كله إلا واحدة، فوسوس لهما الشيطان وزين، فأكلا منها، وكانت تلك الخطيئة سببا في النزول إلى الأرض.

٦- مرحلة الاستغلاف في الأرض: وتمتد من نزول آدم وحواء إلى الأرض، إلى نعمة إسرافيل الأولى في الصور.

٧- مرحلة البرزخ: وهي حياة الأرواح التي ماتت أجسادها، حيث تكون في نعيم أو عذاب، وتبدأ من لحظة موت كل إنسان وتنتهي بإبشار جميعا لحظة نفخ إسرافيل بنفخته الثانية في الصور. وفيام الناس للحساب.

٨- مرحلة البرزخ الجماعي: وهي المرحلة الممتدة بين نفختي إسرافيل في الصور، حيث يترك الله الناس موتى ما شاء الله أن يتركهم.

٩- مرحلة الحساب: ويتلخص بيوم القيامة حيث تُنصب الموازين، وتقام المحكمة، وتعرض الناس للحساب عند قاضي السماوات والأرض.



١٠- مرحلة الحياة الأبدية، إما إلى حنة وما إلى نار!  
فما الدروس المستفادة من الآية ؟

### الدرس الأول :

قضية التوحيد هي قصة اكون الكبرى، بل قضيتها  
الوحيدة لأجنها خلق الله الناس، وبعث الرسل، وأنزل  
الكتب، ونصب الموازين. ونشر لدواوين. وأقام سوق  
الجنة والنار !

قضية لا يقبل الله دونها صرفاً ولا عدلاً، ولا درهماً ولا  
ديناراً. ولا صوماً ولا صلاة. ولا مهمتها جمع الناس  
في صعيد واحد، وأخذ منهم ميثاقاً غليظاً أنه وحده  
سبحانه خالقهم، ورازقهم، ومميتهم. ومحْييهم،  
ثم بعد ذلك جامعهم ليرى ما فعلوا بميثاق أخذوه،  
ووعده قطعوه!

### الدرس الثاني :

حين جمع الله تعالى الناس على هيئة الذر  
لم يحدثهم عن رزق؛ لأنه شأنه؛  
ولم يحدثهم عن الدرية؛ لأنها عطاؤه؛  
ولم يحدثهم عن الأجل؛ لأنه قضاؤه؛  
ونما عن التوحيد؛ لأنه شأنهم ووظيفتهم الوحيدة !

### الدرس الثالث :

خلق الله الأرواح البشرية دفعة واحدة. وحفظها عنده؛  
فإذا أراد أن يجعل بشراً، أمر الملك أن ييث الروح هي  
الجسد، ثم يكب رزقه وأجله ومأله؛

### الدرس الرابع :

خلق الله لكل حسد روحاً واحدة، تسكنه فترة تمتد بين  
مهمة ملكين؛ الأول وقت نثها في الجسد حيث يكون  
الإنسان جنيناً في رحم أمه، والثاني وقت نزعها من  
ملك الموت إذا انقضى الأجل وطوى الكتاب؛

### الدرس الخامس :

الأرواح لا تفنى كما الأجساد. فهي محفوظة في عالمها  
قبل البعث في الأجساد.

ومحفوظة في نعيم أو عذاب بعد الموت؛  
وكل ما يقال عن تناسخ الأرواح والتقمص هو غلط  
هكري وتفسير جاهل، الإيمان به كفر نواح، يتنافى مع  
صريح القرآن، وصحيح الحديث، وعقيدة المسلمين؛

### الدرس السادس :

#### الإلحاد موضوعة

أجل، موضوعة البشرية التي تحب أن تتفلسف من كل سلطة  
ورقاية، حتى سلطة العظيم التي أوجدها من عدم؛



كل نفس بشرية شهدت في يوم من الأيام بالوحدانية  
 لله، وأقرت برؤيته،  
 ثم لما جاءت إلى الدنيا أخلفت موعدها، ونقضت  
 عهدها،

### التوحيد غريزة بشرية

هذه النفس لصعيفة تمرّ بينها وبين نفسها أن قوة  
 أكبر منها تسيطر هذا الكون وتتحكم فيه،  
 ولكن هؤلاء المرضى الذين لم ترضهم أقدارهم،  
 اختاروا زني الإلحاد ليظهروا بمظهر القوي الذي لا  
 شيء يسيطره حتى الشرك بعد ذاته، إقرار بغريزة  
 التوحيد لله !

ولكنها غريزة مريضة وضالة،

فالذين عبدوا الأصنام عبدوها إشباعاً لحاجة الإنسان  
 ليعبد قوياً، ولكنهم ضلوا الطريق، وأخطأوا القوي !  
 والذين كانوا يرمون فتاة حسناء هي التيل إذا ملأف،  
 إنما كانوا يسرحمون قوياً يعرفون أنه حرك كل هذا،  
 ولكنهم بدل أن يستعظموا المسبب ذهبوا إلى السبب !

### الدرس السابع :

يُظهر من كل ما سبق أن الله خلق الأرواح على حدة  
 والأجساد على حدة

فهر يمكننا أن نقول أنه لا يوجد علاقة بين لروح

والجسد ؟

والجواب لا

هناك علاقة بين الروح والجسد لا شك، ولكنها علاقة  
على مستوى عالٍ من التعقيد !  
وتختلف هذه العلاقة باختلاف المرحلة التي يمر بها  
الإنسان، ففي عالم الذر لا يوجد علاقة بين الروح  
والجسد، ذلك أن الجسد ليس موجوداً أصلاً،  
فالحديث عن علاقة بين أمرين أحدهما في عالم  
العدم يتناقض مع المنطق !

أما العلاقة بين الجسد والروح في عالم الدنيا موجودة،  
ونمرقها جميعاً، ونشعر بها في حياتنا اليومية !  
فالعذاب والنعيم في الدنيا على الجسد والروح له تبع،  
فعندما نكون في جو لطيف، وطعام طيب، وأحب  
يحققوننا، إن الذي يتمتع هو الجسد. ولكن الروح تكون  
في مناعة لأنها تتبع للجسد !  
والعكس صحيح فلو أوثقنا إنساناً بالخيال والقيناء  
على رمل الصحراء الملهب، نحن في هذا نعذب  
جسده، ولكن روحه في كدروعة لما بين الجسد والروح  
من علاقة !

أما العلاقة بين الجسد والروح في عالم البرزخ بعد  
لموت، فتأتمت ولكنها على عكس ما في الدنيا.  
فالعذاب والنعيم على الروح والجسد له تبع !  
وأما في الآخرة، فالعلاقة بين الجسد والروح بالتساوي  
سواءً يسوء !  
والله أعلم وأحكم.

﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ  
وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا  
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾

كان عدي بن حاتم المصائى على النصرانية.  
ووجه على النبي ﷺ وفي رقبته صليب من فضة،  
فسمعه يقرأ.

﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾

فقال له: لئننا نعبدكم!  
فقال له النبي ﷺ: ليسوا يحملون لكم لحلال  
حراماً، والحرام حلالاً فتطيعوهم!  
فقال عدي: بلى!  
فقال النبي ﷺ: فتلك عبادتهم!

نص قرآني يوسع دائرة الشرك!  
وتفسير نبوي يخبرنا أن الصورة التمثيلية التي نعرفها  
عن أشرك وهي اتخاذ الأوثان أصناماً آلهة يفرعونها  
بالعبادة والدعاء ليس إلا ضرباً من صروب الشرك  
لا الشرك كله!

والنَّص على اقتضائه واسع الدلالة رجب المعنى.  
وفيه عدة دروس تُستخلص:

### الدرس الأول :

نحن نعرف الرِّجال بالحق ولا نعرف الحق بالرجال!  
فالتَّطريق ليس صائباً لأن من تحبه مشى فيه.  
وإنما صواب الطريق موافقته للشريعة!

### الدرس الثاني :

الإسلام لا يقبل شراكة أحد في التشريع!  
وعندما أرسل نبيّه الخاتم، أرسله بدين يُنظَّم أمور  
الدُّنيا لأجل صلاح الآخرة.  
فالمقرآن دستور عمل لا آيات تُقرأ على الأموات، أو  
لتحصيل البركة، أو لخدمة يتيمة في رمضان  
إنه نظام شامل بطلال كل مناحي المجتمع!  
نظام سياسي، يحدد صلاحيات الحكم، ويطرق الإتيان  
به لسدة الحكم، ويطرق خلع، كذلك  
يُنظَّم العلاقة بين الرعية وحاكمها، وينظَّم علاقة  
الأمة المسلمة بغيرها من الأمم، ويرسم هامش  
تعاملها لأنه يعرف أن المسلمين لا يعيشون وحدهم  
على جزيرة معجورة!  
نظام اجتماعي: ينظَّم الأسرة، وعلاقة الجيران،

وحق الطريق، وحقوق الناس على بعضها  
نظام اقتصادي يحرم الربا، ويحل التجارة، ويحدد  
المواريث، وله حكم في تقال الأموال، ويبين حق  
الحاكم في بيت المال وحق الرعية كذلك  
نظام عقوبات يأمر بالعمو أولاً، ويحض على مكارم  
الأخلاق، يسد سبل وقوع الناس في الحرام، ثم بعد  
ذلك يقطع ويرجم ويجلد، دين إنزال العقوبة بالفرد  
المخطئ لإصلاح المجتمع  
ولم يقم مجتمع بشري من آدم عليه السلام لقيام  
الساعة لم يكن له نظام عقوبات

#### الدروس الثالث :

إذا أحل القانون حراماً يبقى حراماً  
وإذا حرم حلالاً يبقى حلالاً  
لا شراكة في التشريع، ومن أخذ بالقانون حقاً ليس له  
بالشرع جاء يوم القيامة سارقاً

#### الدروس الرابع :

يجب أن لا تمتع بما وقع به أهل الكتاب  
الحرام ما قالته الشريعة، لا ما قاله الشيخ  
والحلال ما حرّمته الشريعة. لا ما حرّمه الشيخ  
احترام العلماء واجب. ولكن اتباعهم على ضلالتهم،  
لا يعفي أحد من وذر الاتباع



﴿وَإِذْ اغْتَرَلْتُمُوهُمْ وَمَا يُغْبِذُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْرَأُوا إِلَى الْكَهْفِ  
يُنْشِزْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهْدِيْكُمْ إِلَى أَمْرِكُمْ مَرْفُوعًا﴾

عجيب أمر هذا الدين عندما تقسو عليه قلوب الرجال  
يُكَيِّنُ اللَّهُ لَهُ قُلُوبَ الْجِبَالِ !

عندما تُصِبح الملوب كالْحجارة أو أشدَّ قسوة،  
يجعلُ الله الحجارة كالقلوب أو أشدَّ رحمة !  
فتية الكهف،

والرَّاهب في قصة أصحاب الأخدود،  
والنبي ﷺ وصاحبه في الهجرة،  
التجأوا إلى الكهوف !

عندما يخذل الناس هذا الدين يحضنه الصَّعر  
ويأويه !

وحيثما كان دينُ الإِئْمان فهناك وطنه !  
لو كان الوطن أغلى من الدين لترك فتية الكهف  
دينهم وبقوا في مدينتهم !

ولو كان الوطن أغلى من الدين،  
ما ترك النبي ﷺ مكة !

ولكنه وقف على مشارفها مودِّعاً يوم الهجرة والدموع  
هي عينيه وقال لها :

"والله إنك لأحب بلاد الله إلي ولولا أن قومك أخرجوني  
ما خرجت"



مما أخرجوه إلا لهذا الدين الذي جاء به.  
وقد عرضوا عليه الملك، والرياسة، والمال، والنعماء!  
فقال لهم: واللّه يا عم، لو وضعوا الشمس في يميني  
والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته  
حتى يظهره الله أو أهلك دونه!  
فضاقت قلوب الرجال على الذي كان صادقهم الأمين  
واتسع له غار ثور!

﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ  
الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا  
لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾

أبلغ قصة قصيرة في التاريخ،

براعة السرد، وسحر الإيجاز !

قصة من هول أحداثها على اللغة كلها أن تستغفر  
لنكتبتها.

سماء تمطر بلا كلل،

وأرض تنبع بلا ملل،

سفينة بنيت في صحراء،

ثم تطفو في موج كالجبال حيث لا شيء إلا الماء،

تحمل في بطنها مستقبل هذا العالم:

القلة المؤمنة. ومن كل زوجين اثنين !

أناس يفرقون، وآخرون ينجون،

وكوكب بأسره يفتسل مما أحدثه على ظهره ساكنوه.

كل هذا لو قيل بإطناب مفرط ما كان عيباً

ولكنه القرآن !

هكذا براعة القصص بما لا يدع مجالاً للشك أنه الله !

"قين": هكذا بالفعل العاصي المبنّي للمجهول

رغم أنه موقف عزة وانتصار !

وحق لمن كان بهذه القدرة والقوة أن يشير لنفسه في



معرض السرد  
ولكنه الله !  
كل هذا الحدث الجلل،  
كل هذا الانتقام الصارخ،  
ولا يشير لنفسه !  
الأمر عنده كاف وتون،  
بكن يفرق كوكب عن آخره. وبكن يجف !

"وقضي الأمر"  
براعة الإيجاز مرة أخرى،  
والأمر يحتاج لإسهاب الغالب !  
التفاصيل التي يلتفت إليها المتصرون حين يعضون  
أخبار نصرهم،  
لا تدخل في حساب الله !  
لا يحتاج لأن يروي تفاصيل لفرق ليحبر بقوه،  
إنه حملا قرآني يترفع عن المثلة رغم أنهم يستحقون !  
ولكنه سبحانه يريد أن يعلمنا أن نسير نحو الهدف،  
أم أولئك الذين يعترضون الطريق، فمجرد عوائق  
علينا أن نحييهم ونكمل المسير !

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

كما قال: "كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ"

قال: "كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ" ١

الجهاد إذا عبادة كالصيام والصلاة ١

وكما أن الصلاة والصيام لا يقبلان إلا إذا أديا

بالطريقة التي أمر بها الشرع،

فالجهاد كذلك ١

وكما لو أن رجلاً صلى الظهر خمس ركعات متتزعة

حب الله ورسوله، قلنا له صلاتك مردودة عليك، فإن

حب الله أن تعبد به بالطريقة التي أخبر بها نبيه ١

ولو أن شخصاً صام رمضان أربعين يوماً، قلنا له إن

الله غني عنك وعن عبادتك

وهكذا كل عبادة تؤدي..

والجهاد كما سبق عبادة ١

ومن جاهد لهذا الدين بغير ما جاء به

هذا الدين، فجهاده مردود عليه ١

وكما أن الله لا يقبل ركعة خامسة في صلاة الظهر، ولا

يثيب عليها بل يعاقبها ١



كذلك كل دم حرام يُسْفَك باسم الجهاد هو دم حرام،  
مهما كانت راية المجاهد!

ولأن الجهاد يتعلق بدم الناس وموالمهم وأعراضهم  
كان من أكثر العبادات حاجة للتعلم والتفقه قبل  
الشروع به!

فالجهاد عن جهل يحول المجاهدين إلى سفاحين  
وقطاع طرق!

لأنهم سيسندون أحكامهم من احتجاداتهم، ومن  
تقليد أعدائهم صاعاً بصاعاً!  
ولم يكن الإسلام يوماً بحاجة لمن يعلّم عليه ماذا  
يفعل أو كيف؟!

**والوسائل الفاسدة لا تؤدي إلى الغايات النبيلة!**

إن ما نراه اليوم من حال الجهاد يتدى له الحيين!  
كما قبل أن يبدأ "بعض الجهاد الحديث" نخاف على  
المسلمين من غير المسلمين،

اليوم صرنا نخاف على الإسلام و لمسلمين من  
المسلمين أنفسهم،

أو ممن يدّعون أنهم كذلك!

نحن نحب الله ورسوله مثلكم،

وبريد الإسلام كما تريدونه بل أكثر،

ولكنكم تقدمون أنفسكم بديلاً مجنوناً، وسفاحاً

لأخطأه مسندة وسفاحاً، ونحن لا نريد أن نستبدل

طاغية أجرد بطاغية ملتح!

الظلم دينه واحد، مهما كانت هوية الظالم!  
ولا تريد أن نستبدل يد الجلاد الفاجرة بيد جلاد  
متوضئة!

نحن ضد الجلاد لأي دين اتقى!  
ونحن لا نكذبكم إذ نقولون أن ما تقومون به يسمى  
جهاداً.

ولكننا نسأل أهو جهاد للإسلام أم عليه؟  
لأننا نؤمن أن الرب الذي أرسل نبياً كان يوصي جيشه  
بأن لا يقطعوا شجرة، ولا يهدموا صومعة ولا يروّعوا  
أسفاً، ولا يقاتلوا إلا من قاتلهم.  
يستحيل أن يقبل بما تقومون به!

﴿ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَ  
يُوسُفَ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبَيِّدْهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا  
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴾

ارتبطت حياة يوسف عليه السلام بالقمصان،  
قميصاً استخدم كذبة،  
وقميصاً استخدم دليل براءة،  
وقميصاً استخدم دواءً

فأما الكذبة فحين ألقاه إخوته في الجب ووضعوا على  
قميصه دم شاة، وجاءوا بالقميص إلى يعقوب عليه  
السلام ليقتنعوه أن الذئب أكله، ولأنه لا جريمة كاملة.  
نسوا أن يمزقوا القميص، وفاتهم أن الذئب محال أن  
يخلع القميص عن يوسف عليه السلام ثم يترسه !

وأما دليل البراءة، فحين هرب يوسف عليه السلام  
من زليخة، جديته ومزقت قميصه من الخلف، ولما حار  
العزيز في تحديد الجاني إن كان يوسف أم زليخة، أنطق  
الله طفلاً رضيعاً من أقرباء زليخة، وطيب منهم أن  
ينظروا إلى القميص فإن كان ممزقاً من الأمام فيوسف  
قد هجم على زليخة وكانت تبعد عنها، وإن كان ممزقاً  
من الخلف فقد كان هارباً منها وهي تشده إليها، فلما  
نظر إلى القميص عرف براءة يوسف !



وأما الدواء فحين عاد أبناء يعقوب عليه السلام من مصر دون أخيه بنيامين، بعد أن دس له يوسف عليه السلام الصواع في رحله ليستبقه عنده، أخذ يعقوب عليه السلام، يبكي حتى أصيب بالعمى، فأرسل يوسف قميصه إلى أبيه، فلما وضعه على وجهه استعاد بصره بأمر الله

### من قصص ثلاثة قصص

وفي هذه الأجزاء قصة قميص رابع !  
 لم يكن قميص يوسف وإنما قميص جده اسحاق عليهما السلام ولكن ليوسف معه قصة قديمة !  
 كان يوسف بنيم الأم فقده ماتت أمه راحيل وهي تضع أخاه الصغير بنيامين، وقد أواد الله أن يعوضه بنم الأم فقذف حبه في قلب عمة يوسف التي لم تكن تطيق فراقه تماماً كما كان لا يطيق يعقوب !  
 وقد عمدت إلى الحيلة لتستأثر به !  
 كان عند فائقة قميص أبيها اسحاق. وكان يوسف في زيارتها. ولم حان وقت عودته وهو ابن سنوات ألبسته القميص تحت ثيابه،  
 ولما أعادته إلى أبيه، وكانت جارة لهم، أخبرت القوم أنها فقدت قميص اسحاق،  
 فأخذوا يبحثون عن القميص.

وكان من عرف الكنعانيين وقتذاك أن السارق إذا  
سرق وقبض عليه يصبح رقيقاً عند صاحب الشيء  
المسروق لمدة سنتين!

فلما وحدوا القميص تحت ثياب يوسف وأصرّت هائكة  
على تنفيذ القصاص الذي دبّرته وأبقت يوسف عندها  
عامين نحنو عليه وترعاه وهي جارة أبيه يعقوب!  
وهذا هو سبب قول إخوته: إن يسرق فقد سرق له  
من قبل!

فما الدروس المستفادة من الآية؟  
الدروس الأولى:

الإنسان لا يرى الجلب في عينه  
ولكنه يرى القشة في عيون الآخرين.  
كانو رجالاً، ونأمروا لقتل أخيهم الصغير!

ثم حال بينهم وبينه أخوه وأصرّ إن كانوا هاعلين أن  
يبعده بدل أن يقتلوه!

فاستبدلوا خطة القتل بإلقائه في الجب ليجد له سيارة  
ويأخذوه بعيداً،

نسوا تأمر الرجل لقتل طفل،

نسوا إلقاءه في الجب،

نسوا كذبهم على أبيهم،

نسوا الحزن الذي جرّعه إياه سنوات طويلة.

ويقو يتذكرون ذنباً ليوسف وهو صغير ، رغم أنه لم  
يكن له فيه يد  
هكذا هم الناس على مرّ العصور ، ذنبهم مقبور مهما  
كان كبيراً ، وذنبك عظيم مهما كان بسيطاً ، فاعرف  
نفسك ولا تنتظر منهم الكثير !

### الدرس الثاني :

فأمرهم يوسف في نفسه !  
قالت الحرب قديماً : سيد قومه المتعالي !  
لكي تعيش لا بد من التفتيش !  
إذا أردت أن تواجه الآخرين بكل ما تعرفه عنهم فلن  
يبقى بجانبك أحد !  
تظاهر وتغافل ومرر وليس في هذا بفاق  
ولكنه أدب الأنبياء !  
يوسف يمرّها في نفسه  
ومحمد ﷺ يقول : إنا لنبيّ في وجوه أقوام وقلوبنا  
تلعنهم ، أدرس الموقف جيداً وقيمه ،  
أحياناً لا بد من المواجهة ،  
وأكثر الأحيان لا بد من تمثيل دور الغافل ،  
على الحياة أن تستمر ويسون النجاهل لن تستمر أحياناً !

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا  
لَتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً  
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُتَفَكَّرُونَ﴾

هل تساءل أحدكم لماذا خلق الله حواء من ضلع آدم  
عليه السلام. وكان قادراً على أن يعطفها من تراب  
مسفل كما خلق آدم؟

ذلك أن أصل الخلقة تبقى في الكائن وإن اتخذ بعد  
ذلك شكلاً آخر.

فالملائكة مقطوعة على الطاعة ولو كان عندها لقدرة  
على المعصية. ما عصى منها الا قليل، ذلك أن أصل  
النور الحير.

في حين أن الجن لهم القدرة على الطاعة والمعصية.  
فأعطب الجن عصاة لأن أغلب النار الشر ما آمن منهم  
إلا قليل بمقدار ما استقيده من نار!

لهذا السبب بالضبط، خلق الله حواء من ضلع آدم  
لتبقى أصل الخلقة في الطبع.

لتبقى حواء تشعر أنها جزء من آدم، ويبقى  
آدم يشعر أن حواء قطعة منه!

إنه إقنان العالق، والطريقة الحكيمة لانجذاب الرجل  
للمرأة، والمرأة للرجل من أجل إعمار الأرض التي  
خلقت لهما!

وأنظر دقة التعبير: "لتسكنوا إليها"

اللام للتعليل. أي أن سبب خلقه المرأة من ضلع لرجل  
أن يسكن إليها. وسكنها إليه مضموم من السياق  
منسما.

ولم يقل تسكنوا معها،  
فالزوج أكثر من شراكه في البيت،  
والزوجان يجمعهما أكثر من سقف،  
وأبعد من سرير.

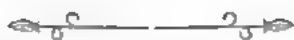
انضموا إليها.

أي لتعملوا من بيوتنا داخل البيوت، ومنارل داخل المنارل،  
فكما يأوي الرجل إلى بيته طلباً للستر، يأوي إلى زوجته،  
وكما يأوي الرجل إلى بيته طلباً للراحة، يأوي إلى زوجته،  
عندما خلق الله الهواء من ضلع آدم جعلها في أصل الخلق  
قطعة منه، والنطرة ~~تقتضي~~ أن يعاملها على هذا الأساس،  
على أنها قطعة منه.

يحافظ عليها كما يحافظ على عينيه اللتين لن تستقيم  
حياته دونهما، وهكذا لن تستقيم حياة الرجل دون امرأة  
وبالمقابل حين خلقها منه، فلاجل أن تستعذب ميلها  
وحاجتها إليه، كالفريق يحزن لوطنه كاليقيم يحزن  
لأبيه.

هكذا أبدع سبحانه هذه الطريقة الحكيمة التي تكمل  
استمرار الخليقة بطريقة يستعذب فيها كل من لرجل  
والمرأة ما يقوم به:

الرجل حين يحب هذه القطعة لرفيقة منه،  
والمرأة حين تحب هذا لكل الذي تنتمي إليه!



﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾

الآية في بر هيم عليه السلام بعد أن قام بتحطيم الأصنام التي عكف قومها على عبادتها وقصه إبراهيم أشهر من أن تُسرود مرة أخرى! ولكن وقفنا معها الآن لغوية بعتة، وبالتحديد مع الفعل "حرق"

فلماذا جاء لنصر القرآني على لسان قوم إبراهيم بـ "حرقوه" ولم يأت بـ "أحرقوه" ألا تؤدي الكلمتان الدلالة نفسها؟  
الجواب: لا!

أجمع اللغويون بلا خلاف على قاعدة مهمة هي : كل خلاف في المبنى يقتضي بالضرورة خلافاً في المعنى!

فلا يوجد كلمة تؤدي ذات معنى حرفاً التي تؤديها كلمة أخرى وإن كنا نظن أنها كلمات مترادفة! وإنما كان الترادف في اللغة لتقريب المعاني وتحفيق الأفهام، ولكن من حيث الدلالة لا يوجد كلمتان تؤديان الدلالة ذاتها :

فما المعنى المتباين في "حرقوه" عن "أحرقوه" فعل "حرق" الغاية منه فعل الحرق وهو ائساد النار في الشيء لإقتائه أو إتلافه،

فعل " حرق " العاية منه إذلال الشيء ، المحرق وما النار  
إلا وسيلة !

وهذا هو بالضبط هدف قوم إبراهيم : إذلاله !  
فلو أرادوا قتله فقط لما بحشموا عناء جمع كل هذا  
الحطب !

فقد جمعوا الحطب في وادٍ صحيق ،  
وأنفقوا أياماً يجمعونه . صغبرهم وكبرهم ، ذكرانهم  
وبائهم ..

حتى أن المفسر المسدي ذكر أن المرأة في قوم  
إبراهيم كانت إذا مرضت نذرت إن شفيت أن تجمع  
حطباً في الوادي المعدل " تحريق " إبراهيم ،  
ومن شدة النار لتي أحدثها كل هذا الحطب أنهم  
قدحوا إبراهيم بالمنجنيق ليستقر فيها لاستحالة أن  
يحملوه ويلقوه فيها !

وهذا المعنى " التحريق " المراد به الإذلال . ورد في  
آية أخرى من القرآن الكريم تثبت بما لا يدع مجالاً  
للشك أن التحريق يحمل في طياته معنى الإذلال وليس  
مجرد حرق الشيء وإفناؤه

فبعد أن رجع موسى عليه السلام من ميقات ربه ،  
ووجد بني إسرائيل عاكفين على عبادة العجل الذي  
صنعه لهم السامري من الحلي والقلائد التي كانت مع  
نسوة بني إسرائيل قال له :



﴿وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾

الفعل في الآية "حَرَّقَ" وليس "أَحْرَقَ"

كان يكفي موسى أن يحطم هذا العجل المعبود وكان  
 هو كاهن وفد فعله النبي ﷺ بأصنام قريش يوم  
 فتح مكة. ولكنه استخدم "التحريق" ليري شي إسرائيل  
 ذلة هذا المعبود،

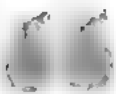
فموسى بالضرورة أخبر قومه أن الله عزيز،  
 وقد أراد بالتحريق أن يريهم ذلة هذا المعبود الذي  
 جعلوه عزيزاً

فالفعل بهية المطاف حماد، ولكن التحريق فعله  
 موسى تبعاً للقبعدة الجراء من جنس العمل  
 فالله جعل عزيزاً مكرماً معبوداً، أراد أن يريهم ذلته





في مواقع التواصل  
إن لم يكن لك  
حسنةٌ جارية  
فعلى الأقل  
لا تترك سيئة جارية  
تموتُ أنت وتبقى هي!



﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ تَخْلَفَنَّهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْبِفَنَّ فِي أَيَّامِ نُسُقَاكَ ﴾

هذه الآيات من أعجب آيات لقران الكريم مبنى ومعنى، والقران كله عجيب، سحر لغوي في سبك العبارة، وفراة هي المعنى!

وكيف لا يكون كذلك؟ ويدين بعض الناس بأخذ بالألباب كما قال النبي ﷺ عندما سمع كلام الزمرقان بن عددي بدافع عن نفسه: "إن من البيان لسحرا"!

فإن كان هذا بيان الناس، فكيف ببيان رب الناس! والسامري هذا تعددت فيه الأقوال، وتوسعت فيه التفسيرات، تلاقى عليه نارة، واختلفت فيه نارة أخرى.. والذي أميل إليه بعد قراءات كثيرة عنه هو التالي:

السامري هو موسى بن ظفر، من قبيلة بني إسرائيل تدعى "سامرة"، فتسببه إلى قبيلته، وضاع اسمه في نسبه. وهذا معروف في الناس في كل عصر. فأبو بكر أشهر من عبد الله بن أبي قحافة، والجاحظ شهر من



عمرو من محبوب، والمنتهى أشهر من علي بن الحسين،  
وكذلك الأعشى والشنفرى، والأخطب وأبى تمام !  
كان قريشاً في السن من موسى عليه السلام، فقد ولد  
في سنوات الدبح التي كان فيها هرعون يدبح مواليد بني  
إسرائيل الذكور ويدع الإناث، بعد أن هُسر له المعبرون  
بأن رؤيا النار التي رآها في المقام أنها التهمت قصره،  
صبيتي يولد في بني إسرائيل يكون ذوال ملكة على يديه !  
وكانت الحوامل في بني إسرائيل إذا جاءهن لمخاض  
يذهبن إلى الجبال والكهوف ويضعن مواليدهن هناك،  
فإن كانت بنتاً عدن بها إذا لا خطر على البنات،  
وإن كان صبياً تركته هناك مخافة الدبح !  
وقد أوكل الله الملائكة طعمهم هؤلاء الصبيان  
ورعايتهم، وكان حبريل موسى تولى رعاية السامري !  
وهو هو تسبب الذي كان وراء معرجه السامري بأثر  
دعسة هرسة حبريل عليه السلام و لقبضة المذكورة في  
الآيات والنسب يأتي تحديث عنها لاحقاً.

أما لماذا لم تلد أم موسى ابنها في الجبال كحال نساء  
بني إسرائيل ؟

فلأن الله قضى أن يكون هذا الصبي في الصف  
الأول من المعركة لا في الخطوط الخلفية !  
وإذا قضى الله أمراً سبب له الأسباب على ما

جرت به العادة، أو بخلافها لا فرق عنده، فالأسباب  
جند من جنود الله يحقق بها أقداره، تجري على الناس  
ولا تجري عليه سبحانه !

ودارت الأيام، موسى يكبر في قصر فرعون، والسامري  
يكبر بعيداً، وعندما حانت لحظة خروج بني إسرائيل  
من مصر كان السامري في قومه،

ولما تبعهم فرعون إلى شاطئ البحر، وشق موسى  
البحر بصاعده ودخله بيني إسرائيل مجتازاً،

تبعهم فرعون يطلبهم بجيشه،

وكان جبريل على فرسه حيزوم بين موسى وفرعون،  
وقد تحرك الرمل من أثر دعسة فرس جبريل كأن فيه  
روح، وهذه من بركات جبريل وقد وصفه الله بأكثر من  
آية بالروح، عرف السامري أن هذا جبريل قياساً  
لماضيه حيث كان يأتيه صغيراً

ولم يلتفت بنو سريل لهذا لعدم معرفتهم السابقة  
بهذا الأمر، وهو تفسير قوله تعالى:

﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾

المهم أن السامري قبض بيده على هذا التراب الذي  
كان فيه روح وخدمه، ثم لما عبر موسى بيني إسرائيل  
أمر الله البحر أن يطبق على فرعون وجيشه، ثم ذهب  
موسى لميقات ربه وحلف أخاه هارون في قومه،  
فما كان من السامري إلا أن جمع حلي ساء بني



إسرائيل وذهيبن التي اعطس أن يستعرنها من نساء  
مصر وأخذنها في ذلك اليوم معهم،  
وقال لهم هدا ذهب لا يحل لكن!  
فجمع الذهب وذاته، ثم صنع منه عجلًا، ونثر التراب  
الذي قبضه من أثر الدعسة فيه، فصار العجل يصدر  
صوتًا كأنه خوار وفيه حياة!  
وأمرهم الساعري أن يعبدوا العجل ففعل غائبته، إلا  
هارون وقلة من بني إسرائيل!  
ولما عاد موسى أحد لعجل وحرقة، وبقي الساعري  
من بني إسرائيل وأمر الناس بمقاطعته، وهو قوله  
تعالى ﴿فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾

### فما الدروس المستفادة من الايات؟

#### الدرس الأول :

موسى الذي رباه فرعون صار نبيا.  
وموسى الذي رباه جبريل عبد العجل.  
ليس مهما كيف تبدأ، المهم كيف تنتهي!

#### الدرس الثاني :

قدر الله ناهذا لا محالة،

لا يؤخره سبب، ولا يمنعه احتراز، ولا يغيثه سبيل!  
فرعون ذبح آلاف الأطلال تحسبا أن يكون أحدهم هو  
النصبي الذي سيكون زوال ملكه على يديه.  
ولما ولد هذا النصبي رباه في قصره!

### الدرس الثالث :

القلوب جند من جنود الله.

يربط عليها ليخضعي بها أقداره.

ويرققها لتعصي بها مشيئته!

ربط على قلب أم موسى لتلقيه في لنهر،

ورقق قلب آسيا لتحفظه وترعاه.

أخذه من أم، وأعطاه لأم!

### الدرس الرابع :

ليس في تربية جبريل للمسامري غرابة أن كان كافراً.

من بيت المؤمن يخرج الكافر كما بن موح،

ومن بيت الكافر يخرج النبي كما إبراهيم ابن أزر،

وقد تكون الزوجة كافرة والروح مؤمناً كما زوجتي نوح

ولوط، وقد نى الله لآسيا بيتاً في الجنة وكان زوجها

في الأرض يقول: يا ربكم الأعلى!

ومهما قدّم العباد للعباد، فلن يقدموا ما قدمه الله

للعباد، وها هو يكمر لا يشكر،

يُشرك به، ولا يُفرد بالتوحيد والعبادة!

وفي الحديث "قال الله تعالى: إني والجن والإنس في

نبا عظيم: أخلق ويُعبد غيري، وأرزق ويُشكر غيري!"

أخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن أبي الدرداء

رضي الله عنه



الدرس الخامس :

الناس يفسون سريعا ،

أنقذهم الله من فرعون ،

شق لهم البحر ، و هلك عدوهم فلما صاروا إلى البر ،

عبدوا عجلا صنعوا!

فإن كان هذا حال الناس مع الله ، فكيف حال الناس

مع الناس ؟

اصنع المعروف لأتلك أهله ، لا لأن الناس أهله!

**والعاقل لا يتتخرد الجميل**

**ما دام عند الله لا يضيع شيء!**

ولكن إن سدى إليك أحد معروفا فمحزت عن أن تردده ،

يكفي أن لا تنساه!

موجع هو العزوق وإن كان لله يعضب لكمر النعمة ،

وعدم تقدير المعروف ، وهو خفي عن الناس ، فالناس

أولى بالعضب وهم فقراء لبعضهم بعضا !

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ

هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ ﴾

هذه الآية هي مطلع سورة يوسف ،

وسورة يوسف من راوية أدبية هي سدره منتهى

القصص القرآني لجهة الحكمة القصصية التي تبدأ  
قبل أن تبدأ الشخصيات بأخذ أماكنها في المبنى  
الحكائي !

أو لجهة تكامل الشخصيات أساسيتها وفرعيتها بحيث  
يمكن تجميع ميزاتهما على لشخصيات الحكائية في  
القرآن ككل، أو لجهة تنوع الروايات واختلافها من القصص،  
والقصص / السورة لا يكفيها المجلدات الطوال للإحاطة  
ببناؤها الروائي، سواء في الحكمة، أو الشخصيات، أو  
الزمن والمكان، نهيك عن سحر البلاغة وعمق الدلالة،  
ولكن الحديث الآن عن الشخصيات !

تتسم الشخصيات في سورة يوسف كما جُلّ القصص  
القرآني، إلى فرعية ورثيمة،

ولقد اعتدنا حين نمر بالشخصيات القرآنية أن نتعامل  
معها على أنها شخصيات من لحم ودم، غافلين أن هذه  
الشخصيات تعمل في طياتها رموزاً ودلالات أعمق من  
بشريتها !

وفيها أفق أوسع ودلالة أعمق من قصص البشرية التي  
نمسخها فيه !

هالقرآن حين يحدثنا عن يوسف إنما يريد أن نفهم  
الرمز الذي يمثل يوسف !

وهكذا أرى أن كل الشخصيات القرآنية برّها وفاجرها  
إنما هي مجموعة رموز ودلالات وقيم !





والمقصود بالحديث دوماً ليس الشخصية بلحهم  
ومعها، وإنما برمزها ودلالاتها!

فيوسف يرمز إلى العفة، وزليخة ترمز إلى الشهوة !  
وهذا بالضبط ما أراد القرآن أن يحدثنا عنه صراع  
العفة والشهوة !

وهذا ما يفسر أن الله ذكر لنا في القرآن خمسة  
وعشرين نبياً وهم كما في الصحيح تجاوزوا المئة ألفاً  
فالذين لم يحدثنا عن شخصياتهم البشرية إنما  
حدثنا عن رموزهم التي هي بالضرورة موجودة في  
شخصيات قد حدثنا عنها وقد يتأتى إعمار الإيجاز  
وما ينطبق على يوسف / العفة،  
وزليخة / الشهوة،

ينسحب على بقية الشخصيات:  
فيعقوب / الأبوة

وأخوة يوسف / الحميد

وأختاتون / الحكم والملك

ولتسوة / رفاق السوء

والعزيز شخصية متشعبة الزوج / لطفانة

والصبي / شهادة الحق

وصاحب السجن / عامة الناس

لهذا كان إبراهيم هو موسى وكان النمرود هو فرعون!

والطوفان، والضامد، والجراد، والقمل، والدم،

والعصا، والذيل، والطير الأبايل، وحصار العزيز، هي  
جنود الله

وقارون، زواج المال بالسلطة

بل وقد تختلف الشخصيات في نوعياتها ولكنها تؤدي  
الرمز ذاته، فالتملة التي حافت على قومها جيش سليمان  
أن يحطموهم وهم لا يشعرون، ما هي في رميتها، لا  
الذي جاء من أقصى المدينة يسعى في سورة يس



﴿ولما سكّت عن موسى الغضب أخذ الألواح﴾

الدرس الأول:

لا تتوقع من الناس أن يكونوا ملائكة.  
نبي من أولي العزم يغضب ويلقي الألواح.  
لأنه نهاية المطاف إنسان!

الدرس الثاني:

النبلاء يسارعون إلى ترميم ما أحدثوا،  
وما هو موسى يأخذ ما ألقى،  
إذا أخطأت اعتذر  
وإذا أفسدت أصلح!

﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتَلُونَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُمْ بِيَمِينِكُمْ  
إِذَا لَازَمْتُمُ الْمُتَبِعُونَ ﴾

دأب بعضُ يَلوون أعناق النصوص القرآنية لينفوا أمية  
النبي ﷺ فتارة يفسرون " النبي الأمي " نسبة لمكة  
وهي عند العرب، وفي لفص القرآني أم القرى  
وتارة يقولون أنه لم يكن أمياً، ولكن العرب كانوا كذلك  
وقد نسب إلى قومه، وهذا اجتهد في غير موضعه، ودفاع  
مدموم عنه ﷺ وكان أميته منقصة!

لقد نسبوا أن الله لا يرسل نبياً فيه عيب يؤثر في دعوته،  
فضلاً على أن يكون هذا النبي هو النبي الخاتم!  
ولا أحد أعلم بحمد ﷺ من قریش!  
فهم عندما كذبوه، اتهموه أنه شاعر لأنهم كانوا يعرفون  
أن الشعر لا يتنافى مع كون المرء أمياً،  
فأغلب الشعراء الجاهليين كانوا أميين يقرضون  
شعرهم شيوخاً،  
والذين كتبوا القصائد وعلقوها على جدار الكعبة على  
القول الذي يعزو تسمية المعلقات بهذا الاسم إنما كتبها  
القلة الكاتبة من العرب لا الشعراء أنفسهم!



ولكنهم لم يتهموه بأنه هو الذي كتبه لأنهم كانوا يعرفون أنه لم يكن يكن يقرأ ويكتب، والآية نص صريح في أميته، ونفي قاطع لمعرفته بالقراءة والكتابة، ولكن الذين تعصبوا له تعصباً في غير موضعه، خلطوا بين مفهوم الأمية ومفهوم الجهل :

الأمية نقيض الكتابة والقراءة،

والجهل نقيض العلم،

وقد كان النبي ﷺ أمياً ولم يكن جاهلاً :

وهذه الاستماتة في نفي الأمية عنه جهل برسائله، فهم حين يشترطون أن من تمام النبوة أن يقرأ ويكتب فكأنهم يعتقدون أن الله بعثه مُدرساً :

ولا أعلم قولاً معبراً ينمي عنه الأمية،

إنما هي عواطف محمودة نشأ عنها تفسير مذموم

وتأويل مستغرب ليس إلا !

بل على العكس تماماً، فإن محطات كثيرة من حياته ﷺ تثبت أميته،

فقد جاء في صحيح مسلم من حديث البراء عن صلح الحديبية عندما جاءه سهيل بن عمرو بماوضه عن قريش، وكان ﷺ قد أمر صحابته أن يكتبوا بنود الصلح،

فلما أمسك سهيل الوثيقة وقرأ :

بسم الله الرحمن الرحيم :

قل لا أعرف هذا وإنما اكتب باسمك اللهم،  
 فقال النبي ﷺ لعلي اكتبها كما قال،  
 ولما قرأ: هذا ما اتفق عليه محمد رسول الله مع قريش،  
 قال سهيل: لو شهدت أنك رسول الله ما قاتلتك،  
 اكتب هذا ما اتفق عليه محمد بن عبد الله مع سهيل  
 بن عمرو

فقال النبي ﷺ لعلي: امحها  
 فقال علي: والله لا أمحوها!  
 فقال له النبي ﷺ: أرني مكانها!  
 فذله علي على الكلمة، فمطبها بنفسه!  
 ولو كان يقرأ ويكتب لما احتاج أن يدلّه أحد عليها!  
 وما سب للثعبي شراحيل بن عامر الكوفي من قوله  
 أن النبي ﷺ لم يموت حتى قرأ وكتب،  
 فقول قاسم: لا يصح!  
 ولو سلمنا جدلاً أنه يصح،  
 فهذا حجة عليهم لا لهم!  
 لأنهم يُسلمون أنه كان أمياً بداية،  
 ولو لم يكن، فما الداعي من ذكر أنه ما مات حتى كتب!

## ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾

لظالمها كان القرآن محطَّ رجال الدارسين. بأياته  
 ينخسون عقولهم. وبمفرداته يعملون أفهامهم  
 منهم الفقيه الذي شغله الحكم شرعي من نص.  
 ومنهم المقرئ الذي شغله صحيح التجويد،  
 ومنهم التحوي الذي شغله الحُمل استنباطاً وقياساً  
 واستدلالاً. ومنهم البلاغي الذي شغله حسن الكفاية،  
 وسحر لسجع ورهبة التشبيه، ودقة الاستعارة. ومنهم  
 اللغوي الذي شغلته المفردة تحريصاً وريادة ولهجة،  
 وكل منهم وجد ضالته!

هذا القرآن بحر علم لا شواطئ له، به تبحر العقول  
 حيث لا مراسي، لا يقدر ما يستشرف الدارس من النص!

أثيرت قديماً مسألة مفردات القرآن هل هي عربية  
 كلها؟

هل هي القرآن فقط غير عربي؟  
 ماذا عن لغات غير العرب الذين تأثر بلسانهم العرب  
 وأثروا به، فتلاقح اللغات أمر لا مناص منه مهما بلغت  
 اللغة من الحزالة والتمتانة؟  
 ظاهر آيات القرآن أن كل مفرداته عربية خالصة.

وقد دافع الأوائل بشراسة عن هذه الفكرة،  
وقد نقسم الناس في الأمر إلى ثلاثة آراء:  
رأيان معتبران ورأي مريض ليس له من علم في الأمر،  
ولا يقول في النص القرآني إلا ما أشرب من هواه تارة  
عن حقد، وتارة عن جهل !  
الرأي الأول: ينفي وقوع غير العربي في القرآن جملة  
وتفصيلاً، وهو رأي الشافعي، وابن جرير الطبري،  
ونبي عبيدة ميمر بن المثنى، والقاضي أبو بكر، وابن  
فارس

وشدد الشافعي الفكير على القائل بخلاف هذا  
الرأي الثاني: يرى وقوع غير العربي في القرآن  
وأصحابه جهبذة في اللغة والدين،  
يُعتد برأيهم ولا يُشك فيهم مؤلفاتهم و ستماتهم في  
الدفاع عن هذا الكتاب، تشهد صفاء قلوبهم  
منهم ابن هشام والثعالبي والسيوطي،  
وهذان الرأيان هما موضع نقاش ويمكن التوفيق بينهما  
بخلاف القول الثالث، المريض الذي سيأتي ذكره.  
الصواب أنه تعصب في غير مكانه إنكار ورود غير  
العربي في القرآن، فشواهد وقوعه عديدة، لا سبيل  
لتجاوزها والقض عليها ومنها :  
أنباريق، وسجيل، وإستبرق، وديثار، وياقوت، ومملىك،  
وهي الفاظ فارسية

الرقيم، والصراط، والقسطام، وإبليس، وهي يونانية  
جهنم، والملائكة، وأحدود، وهي حبشية



غشاق، وهي تركية قديمة

مشكاة، وهي هندية

إذا كيف نجمع بين القولين دون أن يتنافى ذلك مع كثير من الآيات التي لا تنفك تؤكد على عريّة القرآن في هذه المفردات مُعرّبة.

والمُعرب في اللغة هو ما كان في الأصل غير عربي. فاستحسنه العرب. وضمّوه إلى لغتهم. وتحدّثوا به دهرًا قبل نزول القرآن.

فأصبح بهذا المفهوم عربياً خالصاً! إذ أن لعرب حين عربّوا لم يأخذوا المفردة كما هي ويضمّونها إلى لغتهم.

برآجروا عليها تعديلات صرفية، وصوتية، لتناسب مع لسان العرب وأوزانهم في الكلام.

فمن قال ليس في القرآن لفظ غير عربي، فقد صدق على اعتبار أن هذه لمفردات صارت عربية خالصة، وإن كانت بداية ليست كذلك وعندما نزل القرآن واستخدم هذه المفردات استخدمها استخدما يعرفه العرب وقد استخدموه ردحا من الزمن قبل نزول القرآن.

ومن قال أن في القرآن لفظ غير عربي على اعتبار أصل المفردة وما كانت عليه قبل التعريب فقد صدق

أيضاً، فهذا بحث في جدر الكلمة وأصلها لا تشكيك  
بعربيّتها، ولا لانتمائها للسان العرب قبل نزول القرآن!  
أما القول الثالث المريض

فهو قول القائلين أن العرب لم يعرفوا هذه المعردات،

ولم يستخدموها في سياقاتهم اللغوية،

وإنما صارت عربية لنزول القرآن بها،

حيث استعمل السان لمطوة القرآن،

هذا قول ليس فيه حجة،

فأنكله إما جاهل أو حاقد!

وقريش الذي وصفهم الله بـ " قَوْمٌ حَصِيمُونَ "

يكثرُونَ الجدل والحجة،

كانوا سيحتجون على عربيّة المر أن بهذه المعردات،

وهذا الذي لم يحدث أبداً، وهم أفصح العرب لساناً،

فيهم أساطين البلاغ، وفطاحل الشعراء!

على العكس تماماً، لقد انصاعوا لسحر بلاغته وعربيّته

الخالصة وهم أدري الناس بالعربيّة

ولم يحدث أن غير قريش احتجت على القرآن بهذه

المعردات!

يكفيك من ذلك تميم البليغة، وهديل السامقة، الذين

انصاعوا انصياع قريش للقرآن العربيّ الخالص!

﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آدَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ  
الَّذِي عَلَّمَكُمُ السَّحَرَ فَلَا قُطْعَ أَيْدِيكُمْ وَأُزُلِّكُمْ مِنْ  
جُلَاثٍ وَأَصْلَبْكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلْتَعْلَمُوا أَنَّمَا  
أَشَدُّ عَذَابٍ وَأَبْقَى﴾

الأصل أن يقول ربنا: لأصلبكم على جذوع النخل.

لا أن يقول: في جذوع النخل.

لأن الصلب يتم على ظاهر النحلة لا في باطنها،

فما البلاغة التي تحويها الآية؟

وما فتدة استبدال "في" بدل "على" على دلالة الآية؟

تتفق الكوفيون والبصريون أن حروف الجر تتناوب،

بمحيط يمكن أن يحل أحدها مكان الآخر.

وعند الكوفيين أن ميزة حروف الجر التناوب ولا

ضرورة أن يحدث هذا التناوب إضافة في المعنى.

أما عند البصريين، فالأصل أن يحل كل حرف جر

مكانه، وإذا حدث تناوب، فلزيادة في المعنى، وهذا

قول سيبويه وهو الصحيح.

كان الصلب بوسيلتين:

الأولى أنه لبّتهم على النخيل بالمسامير حتى دحر

شيء من لحمهم في النخيل الذي صلبوا عليه، والثانية

أنه ربطهم بالحبال حتى اختلط لحمهم بجذوع النخل،

فصاروا بهذا المعنى فيها لا عليها.

**إنها براعة السبك لإيضاح الدلالة،**  
 والدلالة على وحشية الصلب،  
 فلم يكن مجرد تثبيت عمائم،  
 بل طلب صاحبه التمثيل بأجساد السحرة حين صلبهم  
 والدرس الأهم الذي يجب أن نتعلمه من الآية:  
**أن لا تفقد الأمل بأحد!**  
 فالمسحرة الذين جاؤوا لثral موسى صبايحاً،  
 صُلبوا مساءً ولم يتركوا دين موسى!  
 وأن لا نفترط الأمل بأحد،  
 فالذين عبروا مع موسى البحر، ما لبثوا أن عبدوا  
 العجل!  
 القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يُقلبها كيف  
 شاء، ويهدي الله لهذا الدين رجالاً ما ظن أحد أن  
 يهتدوا!  
 عمر بن الخطاب الذي كان يذيق المسلمين صنوف  
 العذاب؛ صار فاروق الأمة!  
 وعلى يديه تهاوت أعظم امبراطوريتين في التاريخ  
 فارس والروم.  
 وخالد بن الوليد الذي قلب نصر المسلمين هزيمة يوم  
 أحد؛ صار سيف الله المسلول!  
 وعكرمة الذي أهدر النبي ﷺ دمه يوم فتح مكة؛  
 استشهد يوم اليرموك وهو قائد ميمنة جيش خالد!  
 إن هذا الدين لمن صدق، لا لمن سبق!  
 وإن الإنسان بالصدق ليقوق أهل السبق!

﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ  
سُوءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾

سبق وتحدثنا أن الكوفيين والبصريين اتفقوا على أن  
حروف الجر تتناوب، أي يحل بعضها مكان بعضها  
الأخر، وأن الكوفيين قالوا أن التناوب ميزة في حروف  
الجر، وحلول أحدها مكان الآخر لا يشترط به إضافة  
دلالة جديدة على الكلام، بينما يرى البصريون أن  
التناوب يلزمه زيادة في الدلالة وهو قول سيويه  
تحديداً وهو الصواب!

كان من المفترض أن يقول ربنا: ونصرناه على..  
لا أن يقول: نصرناه من..

فما الذي أضافه هذا التناوب على المعنى؟

الآية تتحدث عن نوح عليه السلام،  
والمعلوم أن هلاك قوم نوح كان غرقاً بعد أن أمره الله  
بصنع السفينة وأن يحمل عليها من كل زوجين اثنين!  
وكلمة النصر تقتضي أن يكون هناك مواجهة،  
وهذا ما لم يحدث!

إذا نصرناه هنا بمعنى أنجيتناه، والمواجهة إنما كانت  
بين قومه والماء، وخرج هوناجياً معافى،  
وإذا كان جند الله "الماء" قد كسب المواجهة،  
فإن الماء كان استجابة لدعاء نوح،

فتوح إذاً شريك انتصر بالنتيجة ولكنه بالفعل نجا !  
هتير الله الخطاب، وبدل الفعل أنجي، بالفعل نصر،  
وبدل حرف الجر بآخر تاركاً لنا أن نكتشف مسر  
الدلالة هي النص القرآني!

## ﴿ طَلَعَهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾

هذا أبلغ تشبيه في القرآن،  
**والقرآن كله أبلغ من كله !**  
 ذلك أن التشبيه في اللفظ إنما وجد لتقريب المعنى،  
 وتقريب المعنى في حال الشيء المجهول،  
 أن يتم تشبيهه بمعلوم؛  
 فيقيس الإنسان ما يعرف على ما لا يعرف،  
 فينجلي له المعنى،  
 ولكن الله شبه مجهولاً بمجهول؛  
 والغاية ليس تعقيد المعنى، وإنما تعتمد إبقاء الأمر  
 مجهولاً، والإنسان يخاف مما لا يعرف؛  
 والقصد من الآية التخويف؛  
 والنص القرآني لا يعتمد الغموض، لأنه في الأصل بيان  
 للناس، ولكن تعتمد جل شأنه تعقيد الصورة زيادة في  
 الترهيب، وخطابه جل شأنه موازنة بين الترهيب  
 والترهيب، ولما كانت الصورة التي رسمها الناس في  
 أذهانهم للشياطين أنها صورة قبيحة، وأقبح ما في  
 الشيء رأسه؛ وفيه الوجه؛ لذلك ترك لنا الأمر  
 غامضاً، تركنا تخيل شجرة مجهولة، تطرح ثمرها  
 شكله مجهول، ولكن فبحه متحقق في النفس؛